الفصل الثالث

التعريف بحياته

- اسمه وكنيته
- نسبه
- أسرته
- حياته في الجاهلية
- إسلامه
- جهاده
- صلاته برجال عصره
- صفاته وأخلاقه
- سيفه «الصمصامة»
- وفاته

اسمه وكنيته

اسمه عمرو وكنيته أبو ثور وقد صرح بهما في شعره، يقول من أبيات له في إنقاذ أسرى مذحجيين في هوازن استجاروا به:

ألم ترني إذ ضمني البلد القفرُ سمعتُ نداءً يصدع القلبَ يا عمرو
أغثنا فإنا عصبةٌ مذحجيةٌ نُناطُ على وفرٍ وليس لنا وفْرُ(١)

ويصف سليك بن سلكه السعدي فيقول:

وسيرى حتى قال في القوم قائل عليك أبا ثور سُليكُ المقانِب(٣)

كما نطق الشعراء الذين عاصروه والذين جاءوا من بعده باسمه وبكنيته في شعرهم يقول المجن بن جدين في مدحه حينما أطلقه من الأسر:

أرى مُذْحجًا بيض الوجوه أعزةً بأسماعهم عن كل فاحشةٍ وقرُ(٤)
لكل أناس سيدٌ يعتزونه وسيدُ هذا الحي من مذحج عمرو

ويقول العباس بن مرداس وقيل لعامر بن الطفيل:

إذا مات عمروٌ قلت للخيل أوطئوا زُبيداً فقد أودى بساحتها عَمرو(٥)
فأما وعمرو في زبيدٍ فلا أرى لكم غزَوهُم فارضوا بما حكم الدهرُ
فليت زبيدا كان فيها كضعفها وليت أبا ثور يجيش به البحرُ

ومرت الأيام وانتهى عصر عمرو ولكن أخباره لم تنته إذ أصبح مضرب المثل عند الحديث عن البطولة والشجاعة فها هو أبو تمام يمدح المعتصم فيقول:

---

(١) الديوان: ١٠٨ ـ ١٠٩.

(٢) الديوان: ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٣) الديوان ٣٢ ـ ٣٣. وفي القاموس: المقانب: الذئاب الضارية.

(٤) حماسة ابن الشجري ١٠٠.

(٥) مختار الأغاني/ ٢٠٧ ولباب الآداب ١٨١.

إقــدام عمـرو في سماحــة حــاتم في حِلْمِ أحنف في ذكـاء إيـاس [1]

ويفتخر أبو نُواس بأهل اليمن فيقول من قصيدة له :

ولا تــرى فــارسـا كفــارسهــا إذ زالت الهام عـن منــاكبهــا[2]

عمــرو وقيـس والأشتران وزيــ ــد الخيـل أسـد لـدى مــلاعبهـا

ومن هنـا لا أجـد خـلافـا بين من تـرجموا له ــ فيمــا أعلم ــ على اسمـه وكنيته[3].

---

(١) ديوان أبي تمام ٢/ ٢٤٩ .

(٢) طبقات ابن المعتز ١٩٦ .

(٣) انظر الإصابـة ٣/ ١٨ وطبقات ابن سعد ٥/ ٥٢٥ والبداية والنهـاية ٧/ ١١٩ والأغاني ١٥/ ١٦٢ وأسد الغابة ٤/ ١٣٣ والمؤتلف والمختلف : ٢٣٤ وتجريد الأغاني ١٦٤٨ وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٣ والاشتقــــاق ٤١١ والموشـح ١٢٠ ومعجم الشعــــراء ١٦ والكنـى والأسماء ٦٥ والشريشي ٢/ ٦٨ وتجريــد أسماء الصحــابــة ١/ ٤٢٩ ، والمستطــرف ١/ ٢٢٢ وذيل الأمــالي ١٠٣٤٨ .

نسبه [1]

لا تبخل كتب الأنساب على عمرو فقد وصلته بآدم عليه السلام فهو عمرو بن معد يكرب[2] بن عبد الله بن عمرو بن عصم[3] بن عمرو[4] ابن منبه[5] ـ زبيد الأصغر ـ بن ربيعة[6] بن سلمة بن مازن بن ربيعة ابن منبه[7] ـ زبيد الأكبر ـ بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد

---

(١) هناك خلاف في سياق نسبه وذلك بزيادة أو نقص كما وجد خلاف في اسم بعض أجداده.

(٢) في إحدى روايات الأغاني ١٥/ ٢٠٨ ومعجم الشعراء ١٦ : أنه معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله ابن عمرو. . . ومعناه بالحميرية، كما في الروض الأنف ١/ ٢٣٦ : وجه الفلاح، معدي: وجه، وكرب: الفلاح، وفي خزانة الأدب ١/ ٤٢٥ : معدى اشتقاقه مثل اشتقاق معدان ويزيد عليه بأنه يجوز أن يكون من العدوان فقلبت الواو ياء لما بني على مفعل أو يكون بني على مفعول فقلبت الواو ياء ثم خففت الياء لطول الاسم لأنه جعل مع كرب كالاسم الواحد، وكرب: يجوز أن يكون من الكرب الذي هو أشد الغم ومن كرب في معنى قارب أو من أكربت الدلو إذا شددتها بالكرب وهو الحبل الذي يشد على العراقي قال ابن جنى فسره ثعلب أنه عداه الكرب أي تجاوزه وانصرف عنه.

(٣) حول هذا الجد دار خلاف بين العلماء الذين ترجموا له:
ففي أسد الغابة ٤/ ١٣٣ ورد أنه حصم وفي البداية والنهاية ٧/ ١١٩ والاستيعاب ٣/ ١٢٠٢ والإصابة ٣/ ١٨ جاء أنه عاصم وفي إحدى روايات تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٣ أنه خضم.
ولكن معظم المصادر التي ترجمت له ترى أنه عصم كما في الاشتقاق ٤٧١ والأغاني ١٥/ ٢٠٨ وطبقات ابن سعد ٥/ ٥٢٥ والمؤتلف المختلف ٢٣٤ وإحدى روايات تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٣.

(٤) سقط هذا الجد في الإصابة ٣/ ١٨ وفي تجريد الأغاني ١٦٤٨.

(٥) منبه هذا يسمى بزبيد الأصغر ولكن ورد في إحدى روايات الأغاني ١٥/ ٢٠٩ أنه زبيد بن منبه وذلك خطأ فزبيد الأصغر لقب لمنبه بن ربيعة كما أن زبيد الأكبر لقب لمنبه بن صعب.

(٦) سقط في معجم الشعراء ١٦ وفي إحدى روايات الأغاني ١٥/ ٢٠٨.

(٧) حول هذا الجد دار خلاف.
ففي البداية والنهاية ٧/ ١١٩ والإصابة ٣/ ١٨ أن اسمه شيبة لا منبها وفي الاستيعاب ٣/ ١٢٠٢ وفي أسد الغابة ٤/ ١٣٣ وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٣ أنه منبه بن زبيد الأكبر وهذا خطأ=

ابن زيد[1] بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب[2] ابن قحطان بن عابر ـ وهو هود النبي عليه السلام ـ ابن شالخ بن أرفخشذ ابن سام بن نوح عليه السلام ابن لمسك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس النبي عليه السلام ابن يرد بن مهلابيل بن قينان بن أنوش بن شيث وهو هبة الله ابن آدم أبي البشر.

= فزبيد الأكبر لقب له.

وفي الخزانة ١/ ٤٢٥ والبداية والنهاية ٧/ ١١٩ والإصابة ٣/ ١٨ وأسد الغابة ٤/ ١٣٣ وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٣ والاستيعاب ٣/ ١٢٠٢ بزيادة الحارث فهو منبه بن الحارث بن صعب.

(١) في معجم الشعراء ١٦ وخزانة الأدب ١/ ٤٢٥ والاستيعاب ٣/ ١٢٠٢: أنه زيد بن كهلان ابن سبأ.

(٢) بقية السباق عن العقد الفريد ٣/ ٣٦٨ والعمدة ٢/ ١٩٠ وصبح الأعشى ١/ ٣١٥ ونهاية الأرب ١٥/ ٢٩١.

أسرته

لم تكن أسرة شاعرنا الفارس عمرو بن معد يكرب مغمورة، ولا مجهولة، بل كانت على حظ كبير من العز الشامخ والمجد الباذخ.

فأبوه معد يكرب كان يتمتع بمكانة سامية بين قومه فهو الذي جمع قومه لقتال خثعم[1] وقادهم إليهم، وهو الذي أطلق على عمرو لقب[2] المائق في صباه حين رأى لهوه وانصرافه عن ميادين الحرب والفروسية فهو إذًا رجل حرب وفارس ميدان وقد مات قتيلا قتله أبي بن عثعث[3] الخثعمي. وأما أمه فيقول عنها أبو الفرج[4]: وأمه وأم أخيه عبد الله امرأة من جرم فيما ذكر وهي معدودة من المنجبات. ووردت إشارة إلى أن خثعم سبتها يقول عبد الله ابن الدمينة الخثعمي[5].

وأسرعنا لعمرو بني زبيد فأحرزه نجاء الهاربينا[6]

وقدنا أمه حتى قرنا بها صفين من حزق حوينا[7]

وقيل إن أمه من بني مرة وهي سلمى بنت الحارث بن مرة[8] وقيل إنها بنت زهير بن أقيش العكلي وكانت سبية[9]. وله عمان هما سعد[10] وشهاب

---

(١)، (٢) الأغاني ١٥/ ٢٠٨.

(٣) إرشاد الشيخ المفيد / ٨٥٨.

(٤) الأغاني ١٥/ ٢٠٨

(٥) ديوان ابن الدمينة: ١٥٦.

(٦) أحرزه: صانه وحفظه.

(٧) الحزق: جمع حزقة ـ بكسر فسكون وهي الجماعة من الناس.

(٨) جمهرة النسب ٩٧ ـ ٩٨.

(٩) جمهرة النسب ٩٧ ـ ٩٨.

(١٠) الإكليل: ١٠/ ٧٢.

قتلهما سمير اليامي وقد بعث عمرو إلى سمير يتوعده فقال سمير من أبيات له:

أيرسل عمرو بالوعيد سفاهة إلي بظهر القول قولا مرجما

وذكر أن له ابن أخ فاتك في الجاهلية أعطاه عمرو يوما الصمصامة وقال: اقتل بها المخزم، فمضى فقتل المخزم وابن أخ له، ثم انصرف إلى عمرو فقال له: ما صنعت؟ قال قتلت المخزم وابن أخيه فقال عمرو كيف أصنع ببني مازن وقد قتلت سيدها فقال الغلام: أعطيتني الصمصامة وسميتني المقدام ثم أقتل واحدا فما خبري إذا[1]. كما ذكر أن الإمام علي قتل أخا له وابن أخ له آخر[2]، ووردت إشارة غامضة إلى أن له أخًا اسمه زيد ولكن المرزوقي نفى ذلك[3].

غير أن أخاه عبد الله هو الذي اشتهر من بين أفراد أسرته فكان سيدا مطاعا في بني زبيد ورئيسا لهم حتى قَتْلِ بني مازن له. يقول أبو الفرج «كان عبد الله بن معد يكرب أخو عمرو، رئيسَ بني زبيد، جلس مع بني مازن في شرب[4] منهم فتغنى عنده حبشي عبد للمخزم، أحد بني مازن في امرأة من بني زبيد، فلطمه عبد الله وقال له: أما كفاك أن تشرب معنا حتى تشبب بالنساء؟ فنادى الحبشي: يا آل بني مازن! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه... فرئس عمرو مكان أخيه.. وجاءت بنو مازن إلى عمرو فقالوا: إن أخاك قتله رجل منا سفيه وهو سكران، ونحن يدك وعضدك فنسألك الرحم وإلا

---

(١) الخزانة: ٣/ ٧٨ـ٧٩.

(٢) إرشاد المفيد: ٨٥.

(٣) الحماسة: للمرزوقي ١/ ١٨٠.

(٤) الشرب: جماعة الشاربين.

أخذت الدية ما أحببت فَهَمّ عمرو بذلك[1]. وبلغ ذلك أخته كبشة فغضبت وقالت شعرًا تعير فيه عمرًا وتدعوه إلى الأخذ بثأر أخيه[2]:

وأرسل عبدُ الله إذْ حان يومُهُ إلى قومِه لا تعقِلوا لهُم دَمى
ولا تأخذوا منهم إفالا وأبكُرًا واتْرك في بيت بصعدَةَ مُظْلم[3]
ودع عنك عَمْرًا إنّ عمرًا مُسالمٌ وهل بطنُ عمروٍ غيرُ شبرٍ لمَطْعَم[4]
فإن أنتم لم تثأروا واتَّديتُم فمشُّوا بآذانِ النعامِ المُصَلَّم[5]
أيقتلُ عبدَ الله سيِّدَ قومِهِ بنو مازنٍ أن سبَّ راعي المخزَّمَ
ولا تَرِدُوا إلا فُضُول نسائكم إذا ارتمَلَت أعقابُهُن من الدَّم[6]

وعند ذلك ثار عمرو وأبى أخذ الدية وقال الشعر في رثائه وأخذ يصور حالته النفسية بعد فقده فالأرق أصابه ولذكرى بني مازن وقتلهم أخاه ظل طول ليله متكئا على مرفق يده كأن بعينيه رمدًا:

---

(١) الأغاني: ١٥/ ٢٢٦ ـ ٢٣٠.
وقيل إن سبب قتله أنه مر براع للمخزم بن سلمة من بني مالك بن مازن بن زبيد فاستسقاه لبنا فأبى واعتل عليه وشتمه فقتله عبد الله فثارت بنو مازن بعبد الله فقتلوه. «الخزانة ٣/ ٧٦».

(٢) الأغاني ١٥/ ٢٢٦ وشرح الحماسة للمرزوقي ١/ ٢١٧ عدا الخامس ولباب الآداب ١٨٢ عدا الخامس مع خلاف في الترتيب على أنها لريحانة أخته.

(٣) في لباب الآداب، ولا تقبلوا منهم. والإفال جمع وواحد أفيل، وهي صغار الإبل، والأبكُر: جمع البَكْر وهو الفتيُّ منها، وصعدة: مكان باليمن.

(٤) في شرح الحماسة للمرزوقي: «عمرو هو أخوها وكان يعد بألف فارس، ولم يكن ممن يسالم ولا سيما في طلب دم أخيه، وإنما رمته بهذا الكلام لتهيج منه وتبعثه على التعجل في درك الثأر والتسرع في الانتقام.

(٥) في لباب الآداب: لم تثأروا بأخيكم، وفي الأغاني لم تقبلوا واتديتم وفي شرح الحماسة للمرزوقي، الصلم: قطع الأذن من أصلها، واتديتم قبلتم الدية.

(٦) في لباب الآداب: «ولا تشربوا إلا فضول.

أرقتُ وأمسيتُ لا أرقـــــد وســـاورني الموجعُ الأســـودُ[1]
وبت لـــذكـــرى بني مـــازنٍ كـأني مُـــــرتفـقٌ أرمـــــدُ

وأغار على بني مازن وأعمل سيفه في رقابهم غير مريد النصرة من أحد[2]:

خـذوا حِقَقًـا مُخطّمـةً صفـايـا وكيـــدي يـا مُخَزَّمُ أن أكيـــدا[3]
قتلتم ســـادتي وتـــركتمـــوني على أكتـافكـم عبئًـا جـديـدا
فمـن يأبـى من الأقـــوام نصرًا ويتركُنـــا فإنـا لـن نُـريـــدا

ويهم بـالكف عنهم بعـد أن قتل منهم من قتل ولكن أختـه كبشـة لم تقنع بذلك بل تريـد المزيد من القتل فتركب في نساء من قومها وتترك عمـرا أخاها وتعيره، فيحمى عمرو ويكب على بني مـازن مرة ثانية بالقتـل حتى تفرقوا[4] وردد الأشعار في بكاء أخيـه والاعتزاز بانتقامـه من بني مازن فقد قتل سراتهم وفاجأهم بالحرب مرة بعد أخرى:

تمنت مـــازنٌ جهـــلا خِـــلاطي فـــذاقت مـــازنٌ طعم الخِلاط[5]
أطلتُ فِـراطكم عـامـا فعـامـا ودَيْـنُ المَذْحجي إلى فـــــراط[6]
أطلتُ فِـــراطكم حتـى إذا مـــا قتلت سرَاتكُم كـانت قَطـاط[7]
غـدرتم غـــدرةً وغـدرةُ أخـرى فما إن بيننـــا أبـــدًا يَعـــاطِ[8]

---

(١) الديوان ٨٩ ـ ٩٠.

(٢) الديوان: ٩٠.

(٣) الحِقَق جمع حِقّ وهـو ما كـان من الإبل ابن ثـلاث سنين وقد دخل في الـرابعـة. مخطمة: عليهـا الخطام، والصفايا: جمع صَفِيّ: وهي الناقة الغزيرة الدَرّ والصَفِيّ: ما يصطفيه الرئيس من الغُنم لنفسه قبل القسمة، وهو الصفية أيضًا، والجمع صفايا

(٤) الأغاني ١٥/ ٢٣١.

(٥) الديوان / ١٢٧.

(٦) الفِراط: الإمهال.

(٧) كانت قطاط: أي حسبي وكفاني

(٨) يَعَاط: وردت في الصحاح أنها مثـل قَطَام: زجر للذئب وفي الخزانـة: أنها كلمة إغراء على الحرب أي احملوا.

وله أختان هما كبشة، وهي التي حرضت عمراً على الانتقام من قتلة أخيه عبد الله وقالت الشعر في إثارة سخيمته عليهم، وكانت ناكحا في بني الحارث[1] بن كعب وقيل بل كانت تحت الأجدع[2] بن مالك الهمداني وهو الأرجح وذلك لقول عمرو يخاطبها:

لعمُركِ لولا أجدُع الخيل فاعلمي لقدتُ إلى همدانَ جيشا عرمرما[3]

لقدتُ إلى همدان ألفَ طِمِرَّةٍ وألفُ طِمِر من كُميتٍ وأدهما[4]

وقد كان بنو الأصيد بن سفيان بن أرحب من همدان قد عدوا على عمرو وأخذوا فرسه ولامته[5]، ويقول الأجدع مخاطبا كبشة:

ألا أبلغ فتاة بني زُبيد كبيشة والحديث له نماء[6]

مغلغلة وجهر القول عما يوكل في الخطوب له البلاء

أما أخته الثانية فهي ريحانة قيل إنها «كانت[7] تحت الصمة بن الحارث فولدت له دريدا وعبد الله». ويذكر أبو الفرج أن الصمة سباها وذلك «أنه[8] أغار على بني زبيد في قيس فاستاق أموالهم وسبى ريحانة، وانهزمت زبيد بين يديه، وتبعه عمرو وأخوه عبد الله ابنا معد يكرب، ثم رجع عبد الله وأتْبعه عمرو، وظل عمرو يناشده أن يخلي عنها فلم يفعل، فلما يئس منها ولى وهي تناديه بأعلى صوتها يا عمرو! فلم يقدر على انتزاعها، وقال قصيدته:

---

(١) الخزانة ٣/ ٧٧.

(٢)، (٥) الإكليل ١٠/ ٧٦. ١٢١، ١٥٢.

(٣) الديوان ١٦٦..

(٤) فرس طِمِرٌ: هو المستعد للوثب والعَدْو ـ والأمور المُطَمِّرَة: المهلكات

(٦) الإكليل ١٠/ ٧٦

(٧) الشعر والشعراء ١/ ٣٧٢.

(٨) الأغاني ١٥/ ٢٢٥.

أمن ريحانَـــةَ الـــداعـي السميع يُـــؤرقني وأصحـــابي هجـــوعُ
سبـاهـا الصِّمَّمـةُ الجُشَميُّ غصبـا كأن بيـاض غُـــرَّتها صـديعُ[1]
وحـــالت دونها فـــرســـان قيسٍ تكشَّفُ عن سـواعـدهـا الـدُّرُوع
إذا لم تستطع شيئـــا فـــدعـــه وجـــاوزه إلى مـــا تستطيـع

ولكن يبـدو أن أبا الفـرج واهم في أن المراد بـريحانة في هـذه الأبيات أختـه والأرجح أن المراد بـريحانة في هـذه القصيدة موضـع وهو رأي ذكـره البغدادي للطيبي في الخزانة ويؤيد ذلك :

أنها قصيدة غـزلية وبعيد أن يتغزل بأختـه، ثم إن فيها غزلا بامـرأة اسمها سلمى :

ورب محرشٍ في جنـــب سلمـــى يُعَلّ بعيبهـــا عنـــدي، شفيع[2]
فكم مـن غـــائط مـن دون سلمى قليل الأنـس ليس بـــه كتيع[3]

وقد أشاد بسلمى هذه في قصائد أخرى[4].

ألمم بسلمـى قبل أن تظعنـــــا إن لنـــا مـن حبهـا دَيْـــدَنَـا[5]
قـــد علمت سلمى وجـــاراتُها مـــا قطـــر الفـــارس إلا أنـــا

أما رواية أبي الفرج للبيتين :

سبـاهـا الصمـــة الجشمي غصبـا كأن بيـاض غـرتها الصـديع[6]
وحـــالت دونها فـــرســـان قيس تكشف عن سـواعـدهـا الـدروع

---

(١) الصَدِيع : الصبح .
(٢) الديوان : ١٣٧ ـ ١٤٢ .
(٣) الغائط : المطمئن من الأرض الواسع، ليس به كتيع : ليس به أحد .
(٤) الديوان : ١٧٥ .
(٥) الدَّيْدَن : الدأب والعادة .
(٦) الأغاني : ١٥/ ٢٢٥ .

فالظاهر أنهما اختلفا لترجيح الرواية القائلة : إن هذه القصيدة قيلت في سبي الصمة لأخته ريحانة . كما ذكر صاحب الخزانة أن هذه الأبيات غير موجودة في ديوان عمرو بن معد يكرب الذي جمعه أبو عبد الله الأعرابي[١]

وهذا الغزل بهذه المرأة ـ سلمى ـ ينفي الرواية القائلة إن هذه القصيدة قيلت في ريحانة المرادية[٢] التي تزوجها وطلقها قبل أن يدخل بها، ولعل ريحانة المرادية هي المعنية بقوله :

هاج لك الشوق من رحيانةَ الطربا ... إذ فارقتك وأمستْ دارُها غُرُبا[٣]
مازلت أحبسُ يومَ البين راحلتي ... حتى استمروا وأذرت دمعها سَربا
حتى ترفع بالحُزان يُركضها ... مثل المهاةِ، مرّتهُ الريح فاضطربا[٤]
والغانيات يقتلن الرجال إذا ... ضرجن بالزعفران الريط والنقبا
من كل آنسةٍ لم يغذُها عدم ... ولا تشد لشيء صوتها صَخَبا
إن الغواني قد أهلكنني وأرى ... حبالهن ضعيفاتِ القوى كذبا

ويرى أبو الفرج أن هذه الأبيات مما قاله عمرو في أخته ريحانة[٥] ولكن هذا الغزل المكشوف الصريح يجعلنا نرجح أن ريحانة هذه القصيدة خليلة وصاحبة وليست بالأخت .

ونفى الميمني في حواشي سمط اللآلي : أن تكون ريحانة أم دريد أختا لعمرو معوّلا في ذلك على صاحب[٦] الخزانة يقول : «من المحال[٧] أن تكون

---

(١) الخزانة : ٣/ ٤٦٤ .
(٢) الأغاني ١٥/ ٢٢٦ .
(٣) الديوان : ٢٧ ـ ٢٨ .
(٤) الحزيز: المنهبط من الأرض، وقيل هو الغليظ منها .
(٥) الأغاني ١٥/ ٢٣٩ .
(٦) الخزانة ٣/ ٤٦٢ .
(٧) سمط اللآلي ١/ ٤٠ .

ريحانة أخت عمرو، لأن دريدا حين قُتل يوم هوازن، كان ناهز مائتي سنة، كما في المعمرين وقتل عمرو سنة ٢١ وقد جاوز ١٢٠ سنة. ويقول لعل الصواب رواية الأغاني الأخرى وهي أنها ــ أي ريحانة ـ امرأة عمرو المطلقة، وذكرت المصادر أن له زوجة جعفية[١] رثته لما مات بقولها:

لقد غادر الركبانُ الذين تحمَّلوا بِروذة شخصا لا ضعيفا ولا غُمْرَا
فقل للزُبيدِ بل لمَذْحج كلِّها فقدتم أبا ثورٍ سِنَانكم عمْرَا
فإن تجْزَعوا لا يُغْن ذلك عنكم ولكن سَلُوا الرحمن يُعْقبكم صَبرَا

وذُكر أن اسم زوجته ركانة بنت السلامة[٢] ولعلها الجعفية، كما ورد أن كنية زوجته ـ ولعلها الجعفية أيضا ـ أم ثور ـ[٣] ولعل المصادر فرقت بين نسبة هذه الزوجة التي اشتهرت بها واسمها وكنيتها فجعلت منها ثلاث زوجات.

وتزوج امرأة من كندة ومكث معها ثلاثة أيام وخاف أن يغتال فخرج من عندها فقال: إن ولدت غلاما فسميه خززا، وإن ولدت جارية فسميها «عكرشة» ثم رحل عنها فولدت غلاما فسمته خززا.

وساق الأصمعي قصة زواجه بها فقال[٤]: «خرج عمرو بن معد يكرب فلقي امرأة من كندة بذي المجاز يقال لها: حبي بنت معد يكرب فلما رآها أعجبه جمالها وكمالها وعقلها، فعرض عليها نفسه فقال لها: هل لك في كف «كريم» ضروب لهامة الرجل الغشوم، موات طيب الخيم، من سعد في الصميم؟ فقالت: أمن سعد العشيرة؟ قال: من سعد العشيرة، في أرومتها

---

(١) الأغاني ١٥/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥.
(٢) إرشاد المفيد ٨٥.
(٣) بلاغات النساء ١٨٠ وشرح نهج البلاغة ١٨/ ٣٩٩.
(٤) ذيل الأمالي والنوادر: ١٥١ ـ ١٥٢.

الكبيرة وغرتها المنيرة، إن كنت بالفرصة بصيرة، قالت: نعم زوج الحرة الكريمة، ولكن لي بعلا يصدق اللقاء، ويخيف الأعداء، ويجزل العطاء، فقال: لو علمت أن لك بعلا ما عرضت عليك نفسي، فكيف أنت إن أنا قتلته؟ قالت: لا أصيف[1] عنك، ولا أعدل بك، ولا أقصر دونك، وإياك أن يغرك قولي وأن تعرض نفسك للقتل، فإني أراك منفردا من الناصر والأهل، والرجل في عزة من الأهل وكثرة من المال، فانصرف عنها عمرو وجعل يتبعها من حيث لا تعلم به، فلما قدمت على زوجها جاء عمرو مستخفيا حيث يسمع كلامها، فسألها بعلها عما رأت في طريقها، فقالت: رأيت رجلا مخيلا للبأس يتعرض للقتال، ويخطب حلائل الرجال، فعرض علي نفسه فوصفتك له، فقال: ذلك عمرو، ولدتني أمه إن لم يأتك مقرونا إلى جمل صعب غير ذلول، فلما سمع عمرو كلامه دخل عليه بغتة من كسر خبائه فقتله، ووقع عليها، فلما فرغ قال لها: إني لم أقع على امرأة في جَمام[2] إلا حملت، ولا أراك إلا قد حملت، فإن ولدت غلاما فسميه خززا، وإن ولدت جارية فسميها عكرشة، وأعطاها علامة ومضى عمرو.

وباستعراض شعره الجاهلي والإسلامي نجد له قولا بامرأة اسمها سلمى ولا ندري من هي سلمى هذه؟ هل هي الجعفية أم الكندية؟ ولعلها حبيبة ثالثة يقول من قصيدة له:

فكم من غائِطٍ من دُون سلمى ... قليل الأُنس ليس به كتيعُ
به السرحانُ مفترشًا يديه ... كأن بياضَ لبته الصديع[3]

---

(١) لا أنصرف عنك.

(٢) الجَمام: بالفتح الراحة.

(٣) الصديع: الصبح.

وفي معركة القادسية نراه يفتخر بشجاعته وقتله فرسان الفرس هاتفا باسم سلمى :

ألم بسلمى قبل أن تظعنا ... إن لنا من حبها ديدنا
قد علمت سلمى وجاراتُها ... ما قطر الفارسَ إلا أنا

وقيل[1] إن له ابنا اسمه خزز من امرأته الكندية نشأ في كندة، واشتهر بالشجاعة.

روي أن عمرا خرج يوما يتعرض للقتال، عليه سلاحه، فإذا هو بفتى على فرس شاك في السلاح، فدعاه عمرو للمبارزة، فأجابه الفتى. فلما اتحدا صرع الفتى عمرا وجلس على صدره ليذبحه، فسأله من أنت؟ فقال أنا عمرو، فهمز الفتى عن صدره وقال: أنا ابنك الخزز. وأعطاه العلامة. فأمره عمرو أن يسير إلى صنعاء ولا يكون ببلدة هو بها، ففعل الغلام ذلك، فلم يلبث أن ساد من كان بين أظهرهم، فاستغووه وأمروه أن يقاتل عمرا وشكوا إليه فعله بهم.

فسار إلى أبيه بجمع من أهل صنعاء، فلما التقيا شد كل واحد منهما على صاحبه فقتله عمرو. وقد ندم على قتله ورثاه بقوله:

أيا أسفا على خزز بن عمرو ... فيا ندمي عليه ولهف نفسي[2]
بُني وكان لي عضُدًا وذِكْرًا ... إذا غُيِّبت في كفني ورمسي[3]
به فخُر الفوارسِ من زُبيد ... كأن جبينَه لألاءُ شمس
فلا أُسْقِيتِ يا كفّي الغوادي ... ولاقيتِ البلاءَ وكُلَّ نحسِ
وما تغني الندامةُ والمراثي ... وقد أصبحتَ مثل حديثِ أمسِ

(١) ذيل الأمالي: ١٥١.
(٢) الديوان / ١١٧.
(٣) رمسي: قبري.

أما ثور فلم تشر المصادر إلا أنه ابن له ولكنها ذكرت على أنها كنية لعمرو إلا أن كونه ابنا له أقرب فامرأته تدعى[1] أم ثور أيضا، وله ابنة[2] عرضها على سعيد بن العاص الأصغر لما ولي الكوفة فرفضها.

وهو ابن خالة الزبرقان[3] بن بدر التميمي الصحابي المشهور والشاعر الفصيح الذي ولاه الرسول ﷺ صدقات قومه، وخال قيس بن مكشوح البجلي سيد بجيلة وفارسها.

وبعد فهذه أسرة عمرو التي نشأ وشب بين أفرادها، فهي أسرة شريفة، لها حظها من الوجاهة وعلو القدر، وهي أسرة حربية لها حظها من الشجاعة والفروسية. وهي أسرة، كان للشعر فيها نصيب وافر، فأبوه معد يكرب وأخوه عبد الله كانا سادة لقومهما ومن الفرسان الشجعان وكان ابن خالته الزبرقان بن بدر وابن أخته قيس بن مكشوح كانا سادة لقومهما وشعراء فصحاء وفرسانًا أبطالاً وكانت أخته كبشة شاعرة، وابنه خزز كان فارسا شجاعا قاد أخواله من كندة في معارك كثيرة.

---

(١) بلاغات النساء / ١٦٥.

(٢) الطبري ٣/ ٢٦٩.

(٣) المؤتلف والمختلف ١٨٧ وذيل الأمالي ١٤٨.

حياته في الجاهلية

عاش معظم حياته في الجاهلية وذلك أنه مات سنة ٢١ هـ وعمره ١٢٠ عاما على أرجح الأقوال.

أي أنه عاش نيفا وثمانين عاما في الجاهلية. ومعلوم أن حياة العرب في الجاهلية كانت حياة حربية تقوم على القتل والنهب والسلب وسفك الدماء وكانت قبيلة عمرو كغيرها من القبائل تعشق الحرب وتحب الغزو وكان عمرو في صباه لاهيا عابثا أكولا منصرفا إلى اللهو والشراب تاركا ميادين القتال حتى أصبح يعرف بمائق بني زبيد أي الأحمق الذي لا خير فيه وهو لقب أطلقه[1] عليه أبوه بعد أن رأى منه ذلك الانحراف والانصراف عن ميادين الحرب والفروسية. ويبدو أن هذا اللقب ضايقه وأن ازدراء أبيه وقومه له أثر فيه فأصبح يتحين الفرصة التي يثبت فيها قدرته على القتال وأنه فارس زبيد لا مائقها.

وقد حدث ما أراد فذات يوم علم أن قبيلة خثعم ستشن غارة على قومه ورأى والده معد يكرب يجمع القوم فما كان منه إلا أن قصد أخته وقال لها «أشبعيني إن غدا الكتيبة» وجاء أبوه إلى أخته فأخبرته بما كان من عمرو فقال لها مستكثرا على عمرو اهتمامه بالكتيبة: هذا المائق يقول ذاك؟ قالت نعم: قال: فسليه ما يشبعه فسألته فقال: فرق من ذرة وعنز رباعية. وكان الفرق يومئذ ثلاثة أصْوُع. فصنع له ذلك وأتى عليه جميعه، وفي الصباح أغارت عليهم خثعم ولم يَهب عمرو للقائهم بل رمى بنفسه وتناوم وترك الفريقين يقتتلان ثم رفع رأسه فرأى لواء أبيه قائما فوضع رأسه وبعد برهة من الزمن رفع رأسه مرة أخرى فإذا بلواء أبيه قد زال فهب مسرعا نحو المعركة وفي الطريق

---

(١) الأغاني ١٥/ ٢٠٨.

لقي أبـاه منهزما فقـال له : انـزل عن الفرس فـاليوم ظلم فقـال له : إليـك يا مائق؟ ولكن القـوم قالوا : خله أيها الـرجل وما يريد فإن قتل كفيت مـؤنته ، وإن ظهـر فهو لك . فألقى إليـه سلاحـه فركب ثم رمى خثعم بنفسـه حتى خـرج من بين أظهرهـم ، ثم كر عليهم وفعل ذلك مـرارا وحملت عليهم بنـو زبيد فانهزمت خثعم وقهروا فقيل له يومئذ فارس زبيد[1] .

وهكذا اجتاز تلك التجربة الصعبـة وذاك الامتحان القاسي كما اجتازه من قبله عنترة الفوارس ، وظلت أخبار بطولته بعد ذلك تترى وأحاديث شجاعته تذاع تتناقلها الأفواه وتتحدث عنها الـركبان فإذا به البطل المغوار الذي ترتعد لذكـره الفرائص خـرج مرة يريـد الغارة وبينما هـو يسير إذ هو بفـرس مشدود ورمح مركـوز ورجل جالس كأعظم ما يكـون من الرجال خلقـا محتب بسيفه فقال لـه : خذ حذرك فإني قـاتلك ، فقـال ومـن أنت قـال أنا عمـرو بـن معد يكرب فشهق شهقة فمات[2] ـ وسـواء صحت القصة أم لا فهي دليل على بطولته وشجاعته الفذة .

وتولى رئاسة قـومه زبيد بعد قتل أخيه عبـد الله فأخذ ينتقل بهم من ميدان إلى ميدان قائدا إياهم متحديا بهم القبائل :

فما جمع ليغلـب جمع قـــــومـي مكـــاثـــرة ولا فـــرد لفـــرد[3]

ويقول :

هتفتُ فجـاءت من زُبيـدَ عصابـةٌ إذا طردت فـاءت قريبـا فكرّتِ[4]

---

(١) الأغاني ١٥/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩ .

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ٢/ ١٧٦ .

(٣) الديوان/ ٨١ .

(٤) الديوان ٤٤ .

وسال الشعر على لسانه في الافتخار بمهارته الحربية والاعتزاز بشجاعته :

أنـــا أبـــو ثـــور ووقـــافُ الـــزلقْ (١)

لسـت بمـأفـــــون ولا فيَّ خَـــــرَق(٢)

وأســـــدُ القـــــوم إذا احمر الحدق(٣)

إذا الـــرجـــال عَضَّهـم نـــابُ الفَـــرَق(٤)

وجـــدتني بـــالسيف هتـــاك الحَلَق(٥)

وعـلا شأنـه فاختـاره النعمان بن المنـذر ليكـون أحد رسلـه إلى كسرى وفي مجلس كسرى قال في غير خوف ولا وجل(٦): «إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فبلاغ المنطـق الصواب، ومـلاك النجعة(٧) الارتيـاد، وعفـو الـرأي خير من استكراه الفكـرة، وتوقف الخبرة خير من اعتساف الحيرة، فـاجتبذ(٨) طاعتنا بلفظك واكتظم بـادرتنا بحلمك، وألن لنـا كنفك يسلس لك قيـادنا، فإنـا أناس لم يوقس(٩) صفاءنا قراع مناقير من أراد لنا قضما، ولكن منعنا حمانا من كل رام لنا هضما».

---

(١) الديوان: ١٥١.

إلا أنه في الديوان: «أنا ابن ثـوار» ولعله خطأ مطبعي والتصحيح من مروج الذهب ٢/ ٣٢٩ وهو المصدر الذي أخذ منه النص.

(٢) الخرق: الدهش من الخوف.

(٣) الحَدَق: جمع حَدقَة وحدقة العين: سوادها الأعظم.

(٤) الفرق: الخوف.

(٥) الحلق: الدروع.

(٦) العقد الفريد ٢/ ١٨ وعنه نقل الألوسي في بلوغ الأرب: ١/ ١٤٧ ـ ١٥٨.

(٧) النجعة: طلب الكلأ.

(٨) اجتبذ: اجتذب.

(٩) لم يوقس: لم يخدش.

وهو كلام يدل على رجاحة عقله واتزانه وافتخاره بقومه واعتداده بهم .

وهكذا : كانت حياته في الجاهلية لهوًا وعبثًـا في الصبا ، تلاها قتال وسيادة وقيادة للجيوش .

إسلامه

تتفق معظم المصادر على أنه قدم على النبي ﷺ وذلك سنة تسع أو عشر ولكنها تختلف في تسمية الوفد الذي قدم فيه، فمرة تجعله في وفد مذحج[١] عامة مع فروة بن مسيك المرادي، ومرة مع وفد مراد[٢] قوم فروة لأنه كان قد فارق قومه زبيدًا، ولكن الأرجح رواية ابن سعد عن الواقدي في سند عن خزيمة بن ثابت أنه قدم[٣] مع وفد زبيد قال: قدم عمرو بن معد يكرب في عشرة من زبيد المدينة فقال حين دخلها، وهو آخذ بزمام راحلته من سيد أهل هذه البحرة[٤] من بني عمرو بن عامر؟ فقيل له: سعد بن عبادة فأقبل يقود راحِلته حتى أناخ ببابه، فخرج إليه سعد فرحب به وأمر برحله فحط وأكرمه وحياه ثم راح به إلى النبي ﷺ فأسلم وأقام أياما، وأجازه رسول الله كما كان يجيز الوفد، وانصرف راجعا إلى بلاده.

وفي رواية[٥] أنه قال للرسول ﷺ حين التقى به: حياك الله إلهك، أبيت اللعن! فقال رسول الله ﷺ: «إن لعنة الله وملائكته والناس أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. فآمن بالله يؤمنك يوم الفزع الأكبر». فقال عمرو وما الفزع الأكبر؟ قال رسول الله: «إنه فزع ليس كما تحسب وتظن، إنه يصاح بالناس صيحة لا يبقى حي إلا مات، إلا ما شاء الله من ذلك، ثم يصاح بالناس صيحة لا يبقى ميت إلا نشر، ثم تلج تلك الأرض بدوي تنهد منه الأرض، وتخر منه الجبال، وتنشق السماء انشقاق

---

(١) الأغاني ١٥/ ٢١٠.

(٢) البداية والنهاية ٧/ ١١٩ وأسد الغابة ٢/ ١٣٣ وتجريد أسماء الصحابة ١/ ٤٢٩.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٥٢٦ والإصابة ٣/ ١٩ وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٤.

(٤) البَحْرَةُ: البلدة يقال: هذه بحرتنا، أي بلدتنا وأرضنا.

(٥) الأغاني ١٥/ ٢١٢.

القبطية[1] الجديد ما شاء الله في ذلك، ثم تبرز النار فينظر إليها حمراء مظلمة قد صار لها لسان في السماء ترمي بمثل رءوس الجبال من شرر النار، فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه، وذكر ذنبه ـ أين أنت يا عمرو» قال: إني أسمع أمرا عظيما! فقال رسول الله ﷺ: «يا عمرو أسلم تسلم». فأسلم وبايع لقومه على الإسلام.

أما ما روي من أنه قدم مع فروة فذلك قول ضعيف وذلك أنه كان يكره فروة، قال[2] لقيس بن مكشوح وهو ابن أخته حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ: يا قيس إنك سيد قومك، وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز، يقال له نبي، فانطلق بنا حتى نعلم علمه، وبادر فروة لا يغلبك على الأمر، فهو إذًا يفضله على فروة ويدعوه إلى الإسلام كي لا يسبقه فروة. وربما ساءه أن النبي ﷺ لم يوله شيئا وولى فروة وهو الرئيس في قومه فما إن أعلن عبهلة العنسي[3] نبوته وردته حتى أسرع إليه فكان أحد أتباعه ووالي أمور[4] مذحج له وقال في هجاء فروة[5]:

وجدنا ملكَ فروة شرَّ ملكٍ حمارٌ ساف منخرَه بقذر
وإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر وختر[6]

وكان النبي ﷺ قد ولى[7] خالد بن سعيد صدقات اليمن ويقال[8] إنه

---

(١) القبْطِيَّةُ: ثيابٌ بيضٌ رقاق من كتّان تُتَّخذُ بمصر.
(٢) الأغاني ١٥/ ٢٠٩.
(٣) انظر الكامل في التاريخ ٢/ ٢٢٧.
(٤) تاريخ أبي الفدا/ ١٦٣.
(٥) الديوان/ ١٠٥.
(٦) الخَتْرُ: الغدر.
(٧) الكامل في التاريخ: ٢/ ٢٠٣.
(٨) أنساب الاشراف: ١٢٨.

ولاه أمر زبيد خاصة فسار خالد إلى عمرو وقاتله فهزمه وهرب عمرو، ولما قتل العنسي، وتوالت الجيوش الإسلامية بقيادة المهاجر بن أمية لقتال المرتدين باليمن عاد إلى حظيرة الإسلام فدخل على المهاجر بن أمية بغير أمان فأوثقه، وبعث به إلى أبي بكر فقال له[1] أبو بكر رضي الله عنه: أما تستحي أنك كل يوم مأسور أو مهزوم لو نصرت هذا الدين لرفعك الله تعالى قال: لا جرم لأقبلن ولا أعود فأطلقه ورجع إلى قومه ثم عاد إلى المدينة وانضم إلى الجيوش الإسلامية مجاهدا في سبيل الله.

---

(١) الكامل في التاريخ: ٢/ ٢٥٦.

جهاده

بعد الفراغ من حروب الردة جهز أبو بكر الجيوش لغزو العراق ـ حيث الفرس ـ والشام ـ حيث الروم ـ ولله درها من جيوش انطلقت تقاتل في سبيل الله وتحامي عن دين الله :

وإنا لقومٌ في الحروب أسودُها ... وتنفر عنا عند ذاك أسودها[1]

نحامي عن الدين القويم بنصرةٍ ... ونرغم آناف العدى ونذودها

لنا الفخر في كل المواطن دائما ... بأحمدنا الهادي فذاك سعيدها

ملكنا بلاد الشام ثم ملوكها ... إلى أن تبدى بالنكال عديدها

يدفعها إلى الجهاد إيمان صادق بعقيدة سليمة جاء بها محمد ﷺ وعبر عن ثباته عليها بقوله : «[2]والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أدع هذا الذي جئت به حتى يظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته» وما أروعها وأجلها من عقيدة تحث معتنقيها على الجهاد في سبيل الله .

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾[3]

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[4] .

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾[5] .

---

(١) فتوح الشام ٢/ ٧٣ . أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي .

(٢) السيرة لابن هشام ١/ ٢٦٦ .

(٣) البقرة : ١٩٠ .

(٤) النساء ٧٤ .

(٥) آل عمران ١٦٩ .

﴿انفِرُوا خِفَـافًا وَثِقَالاً وَجَـاهِدُوا بِأَمْـوَالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١).

﴿يَـا أَيُّهَا الَّـذِينَ آمَنُوا مَـا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِـرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّـاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ، أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾(٢).

﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْـوَالَهُمْ بِـأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّـةَ يُقَـاتِلُـونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ ويقتلون وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ والإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾(٣).

﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾(٤).

استعذبـوا الموت، واستصغروا العظائم، واستخفـوا بالأهـوال، واقتحموا الأخطار، وزلـزلوا الجبـال، واندفعـوا متغنين بما وعدهم الله مـن جنات تحت ظلال السيوف لا يريدون الدنيا ومتاعها وإنما يطلبون الآخرة ونعيمها:

وكم كُـرْبـــةٍ فَـرّجتُهَـا وكَـريهةٍ شـــددتُ لها أزري إلى أن تَجلَّت(٥)
وقـد أضحت الـدنيا لـديَّ ذميمـةً وسليتُ عنهـا النفسَ حتى تسلَّت
وأصبـح همي في الجِهـــادِ ونيّتـي فللـــهِ نفسٌ أدبـــرتْ وتـــولَّت
فلا ثَـرْوةَ الدُّنيا [تـريد(٦)] اكتسابها أَلا إنها عن وفْـــرهَـا قـــد تخلت
ومـــاذا أرجّـي من كنـــوز جمعتُهَـــا وهـذي المنـايَـا شُرَّعـا قـد أطلَّتِ

حنوا إلى الجنة فاستهانوا بالموت ولم يبالوا بالقتل:

---

(١) سورة التوبة آية ٤١.

(٢) سورة التوبة آية ٣٨.

(٣) سورة التوبة آية ١١١.

(٤) سورة الصف آية ٤.

(٥) الأخبار الطوال/ ١٣٨ لعروة بن زيد الخيل.

(٦) في الأصل نريد.

ولست أبالي إن قتلت لأنني أرجي بقتلي في الجنان مقامي [1]

وجادوا بأرواحهم رخيصة في سبيل الله طمعا في رضا الله والفوز بجنته :

سأبذل مهجتي أبدا لأني أريد الفوز من رب كريم [2]

وأضرب في العدا جهدي بسيفي وأقتل كل جبار لئيم

فإن الخلد في الجنات حق تباح لكل مقدام سليم

خلفوا ذويهم وراءهم يبكون ولبوا نداء ربهم :

ألا من مبلغ عني ذُريحا فإن الله بعدك قد دعاني [3]

فإن تسأل، فإني مستفيد وإن الخيل قد عرفت مكاني

وما عذرهم وما حجتهم في التخلف والقعود عن داعي الجهاد [4]:

باتت تُذكرني بالله قاعدةً والدمعُ ينهلُّ من شَأْنَيْهِمَا سَبَلاَ [5]

يا ابنةَ عمي كتابُ الله أخرجني كُرها، وهل أمنعنَّ اللهَ ما فعلا؟

فإن رجعتُ فربُّ الناسِ يُرجعني وإن لحِقتُ بربي فابتغي بدلا!!

ما كنت أعرج، أو أعمى فَيَعْذِرَنِي أو ضارِعًا من ضنًى لم يستطع حِوَلا [6]

وقد شارك شاعرنا الفارس عمرو بن معد يكرب في هذه المعارك فأبلى بلاء حسنا في كل معركة شهدها. شهد معركة اليرموك وقيل عنه إنه كان أشرف رجل برز وذلك أنه خرج إليه علج فقتله ثم آخر فقتله وهكذا حتى انهزموا وأصيبت عينه في وقعة اليرموك [7] فلم تثنه عن مواصلة الجهاد بل واصل

---

(١) فتوح الشام ٢/ ٨٤ لجميل بن سعيد.

(٢) فتوح الشام ١/ ١٤٠ لجندب بن عامر الطفيل.

(٣) الإصابة ١/ ٤٧٩ للحقان بن ذريح.

(٤) الشعر والشعراء ١/ ٢٩٣ للنابغة الجعدي.

(٥) سبل: هطل.

(٦) الضارع: النحيف الضاوي الجسم، الضنى: المرض.

(٧) معجم الشعراء / ١٦ والإصابة عن الهيثم بن عدي ٣/ ١٩.

مسيرة المجد والشرف فشهد موقعة الجسر مع أبي عبيد بن مسعود الثقفي[١].

وشهد وقعة القادسية وكان له فيها شأن عظيم، وكان وأبو سِبرة ابن ذؤيب[٢] على مذحج. والقادسية معركة من أكبر معارك التاريخ الإسلامي فتحت للمسلمين بعدها أبواب فارس، وكان سعد بن أبي وقاص قائد الجيوش الإسلامية، ورستم قائد الجيوش الفارسية وقد التقت الجيوش بالقرب من الكوفة وقبل نشوب المعركة أرسل القائد العظيم سعد بن أبي وقاص نفرًا من ذوي الرأي والنجدة كان فيهم شاعرنا عمرو[٣] بن معد يكرب، والمغيرة بن شعبة وأمثالهما، وأمرهم بتحريض الناس على القتال. ويروى أنه قال لعمرو ابن معد يكرب وقيس بن هبيرة، وشرحبيل بن السمط[٤]: «إنكم شعراء وخطباء وفرسان العرب، فدوروا في القبائل والرايات وحرضوا الناس على القتال».

وأمر القراء بقراءة سورة الأنفال فقرئت وهشت لها قلوب الناس وأقبلوا في حماسة على الجهاد، ونشب القتال بعد أن كبر سعد التكبيرة الرابعة وظل مستمرا حتى أنزل الله نصره على المسلمين فأخذ الجيش الفارسي يتهاوى تحت أقدام البطولة الإسلامية وسالت دماء الأعاجم أنهارا وأخذت قلاعهم وحصونهم تسقط الواحدة تلو الأخرى.

وقد فعل عمرو بالأعاجم في هذه المعركة الأفاعيل وكاد أن يقتل أكثر من مرة.

---

(١) الاستيعاب / ٣٠٢.

(٢) الكامل لابن الأثير ٢٠/ ٣١٠.

(٣) الكامل لابن الأثير ٢/ ٣٢٥.

(٤) الأخبار الطوال / ١٢٢.

يروى أن رجلا[1] من الأعاجم رماه بنُشَّابة[2] فوقعت في كتفه، وكانت عليه درع حصينة فلم تنفذ، وحمل على العلج فعانقه وسقطا إلى الأرض، فقتله عمرو وسلبه ورجع بسلبه وهو يقول:

أنا أبو ثور وسيفي ذو النون[3]
أضربهم ضرب غلام مجنون
يا لزبيد إنهم يموتون

ويروى[4] أنه حمل وحده وجعل يضرب الفرس حتى لحق به المسلمون، وقد أحدق به الأعاجم وهو يضرب فيهم بسيفه فنحوهم عنه. وكان يمر بين صفوف المسلمين يحثهم على القتال ويقول لهم[5]: «كونوا أسَدًا أغنى شأنه، فإنما الفارسي تيسٌ بعد أن يُلقي نَيْزَكَهُ[6]» «أَلْزِموا خراطيمَ الفيلةِ السيوفَ فإنه ليس لها مقتل إلا خراطيمُها[7]»، وكانت له طريقة بارعة في القتال كما روي عن نِيَار بن مكرم الأسلمي[8] قال: شهدت القادسية فرأيت يومًا اشتد فيه القتال بيننا وبين الفرس، ورأيت رجلاً يفعل يومئذ بالعدو أفاعيل، يقاتل فارسًا ثم يقتحم عن فرسه ويربط مِقْودَه في حَقْوه فيقاتل، فقلت: من هذا جزاه الله خيرا؟ قالوا: هذا عمرو بن معد يكرب.

---

(١) الأغاني ١٥/ ٢١٦.
(٢) النُشَّابَةُ: واحدة النُشَّاب، وهي السهام
(٣) الديوان / ١٨٩.
(٤) الأغاني ١٥/ ٢١٧ والكامل في التاريخ ٢/ ٣٣٢.
(٥) الأغاني ١٥/ ٢١٥. والبداية والنهاية ٧/ ٤٥.
(٦) أغنى شأنه: أي كف أمره، النَيْزَكُ: الرمح القصير.
(٧) الأغاني ١٥/ ٢١٨.
(٨) الأغاني ١٥/ ٢١٨

وكان يفعل هذه الأفاعيل وعمره قد جاوز المائة سنة[١] وحمل على رستم[٢] في نفر من المسلمين فقتلوه وافتخر بأنه قاتله[٣]:

ألمم بسلمى قبل أن تظعنَا ... إن لنا من حبها دَيْدَنا[٤]

قد علمت سلمى وجاراتُها ... ما قطر الفارس إلا أنا[٥]

شككت بالرمح حيازيمَه ... والخيل تعدو زيما بيننا[٦]

وكان عمر بن الخطاب يعده بألف رجل[٧] وكتب إلى سعد[٨] بن أبي وقاص بأن يصدر عن مشورته في الحرب. وقد افتخر ببلائه وبلاء قومه[٩]:

والقادسيةُ حين زاحمَ رستمٌ ... كنا الحماةَ بهن كالأشطان[١٠]

الضاربينَ بكلِّ أبيضَ مِخْذَم ... والطاعنين مجامعَ الأضغان[١١]

ومضى ربيع بالجنود مشرقًا ... ينوي الجهاد وطاعة الرحمان[١٢]

قوم هم ضربوا الجبابرَ إذ بغوا ... بالمشرفية من بني ساسان[١٣]

---

(١) الأغاني ١٥/ ٢١٨ والإصابة ٣/ ٢١.

(٢) الأغاني ١٥/ ٢١٨ وتجريد الأغاني ١٦٥.

(٣) الديوان: ١٧٥.

(٤) الديدن: الدأب والعادة.

(٥) قَطّر: ألقاه على أحد قُطْرَيْهِ وهما جانباه.

(٦) الحيازِم: جمع حَيْزُوم: وهو وسط الصدر وما يضم عليه الحزام. زيم: متفرقة.

(٧) الإصابة ٣/ ٢٠.

(٨) أسد الغابة ٤/ ١٣٣.

(٩) الديوان: ١٨٧.

(١٠) الأشطان: الحبال الطويلة الشديدة الفَتْل يُستَقى بها وتُشد بها الخيل.

(١١) المِخْذَمُ: السيف القاطع، الضِغْن: الحِقد. وقال العسكري في الصناعتين إن قول عمرو: «مجامع الأضغان» أجود من قول البحتري «مواطن الكتمان» في بيته.

قومٌ ترى أرْماحَهم يوم الوَغَى ... مشغوفةً بمواطِنِ الكِتْمَانِ

لأنهم إنما يطاعنون الأعداء من أجل أضغانهم، فإذا وقع الطعن في موضع الضغن فذلك غاية المراد.

(١٢) ربيع: لعله حنظلة بن الربيع التميمي أحد أبطال معركة القادسية

(١٣) المشرفِيَّة: سيوف.

حتى استباح قرى السواد وفارس والسهل والأجيال من مَكْرَان

ومضى مع الجيش المسلم فكان على الخيل[1] عند الهجوم على الأعداء في وقعة جلولاء، وقاتل في معركة نهاوند تحت لواء النعمان بن مقرن المزني وكان النعمان[2] يستشيره حسب أمر الخليفة عمر قال له يوما: ما عندك يا عمرو؟[3] قال: أروني كبش القوم فأعتنقه حتى يموت أو أموت، وذكر أنه أصيب في هذه المعركة بجراح أثبتته فحمل ومات برُوذة[4].

وهكذا لبى نداء ربه مجاهدا في سبيل الله بعد أن سطر التاريخ له صفحات مشرقة وضاءة من المجد والشرف رضي الله عن الفارس المغوار والصحابي الجليل والشاعر المجيد عمرو بن معد يكرب الزبيدي.

---

(١) الأخبار الطوال / ١٢٨.

(٢) ذيل الأغاني ١٤٤ والإصابة ٣/ ٢١.

(٣) ذيل الأغاني ١٤٤.

(٤) معجم ما استعجم ٢/ ٦٨٥ والشعر والشعراء ١/ ٣٧٣ والاستيعاب ٣/ ١٢٠٢ والإصابة ٣/ ٢٠ في رواية. ومعجم البلدان: ٣/ ٧٨. ورُوذة: قرية بالري، والري مدينة من أمهات مدن المشرق.

صلاته برجال عصره

لا بد لرجل قضى حياة طويلة مليئة بالأحداث كعمرو بن معد يكرب من أن تتصل أسبابه بأسباب كثيرٍ من الناس يصادق بعضهم ميلاً، حبًّا له، وإعجابا به، ويعادي بعضهم نقمة عليه وكراهية له، ويقف من البعض الآخر بين بين.

وإذا استعرضنا الأشخاص الذين أحبهم وأحبوه وأكرمهم وأكرموه وخاصمهم وخاصموه وحاربهم وحاربوه وجدنا في طليعتهم العباس بن مرداس وقيس بن مكشوح، وسعدبن أبي وقاص، وخالدبن سعيد، وفروة ابن مسيك المرادي، وعمر بن الخطاب.

أما العباس[1] بن مرداس فكان فارسا، وشاعرا، وشهما نبيلا شديد العارضة والبيان سيدا في قومه، مطاعا مخضرما أدرك الجاهلية والإسلام يكنى بأبي الهيثم وأمه الخنساء الشاعرة المشهورة والسيدة الأديبة والصحابية الجليلة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية. أسلم قبل فتح مكة وحسن إسلامه وجاهد مع النبي ﷺ في قومه وقال حين أسلم:

فآمنت باللهِ الذي أنا عبده ... وخالفتُ مَنْ أمسى يريد المَهالكا[2]

ووجهت وجهي نحوَ مكةَ قاصدًا ... أُبايع نبيَ الأكرمين المُبَاركا

نبيٌ أتانا بعد عيسى بناطق ... من الحقِّ فيه الفضلُ فيه كذالكا

أمينٌ على القرآن، أولُ شافع ... وأولُ مبعوثٍ يُجيب الملائكا

تلافى عُرى الإسلام بعد انتقاضها ... فأحكمَها حتى أقام المَناسكا

---

(١) انظر ترجمته في: الخزانة ١/ ١٤٥، والإصابة ٢/ ٢٦٣ والاستيعاب ٣/ ٢٥٦ والأغاني ١٤/ ٣٠٢ والشعر والشعراء ١/ ٣٠٠ و٢/ ٧٤٦وشرح شواهد المغني ٩٢٥ وشعر المخضرمين ٢١٣ والأعلام ٤/ ٣٩.

(٢) البداية ٢/ ٣٣٤ والأغاني ١٤/ ٣٠٥.

وقال يفتخر بجهادقومه ونصرتهم للرسول :

إمـــا أتيـت على النبي فقُـل لـــه حقًّـا عليك إذا اطمأن المجلس[1]
يـا خَيْرَ مَنْ ركـب المطيَّ ومن مشى فـــوقَ الترابِ إذا تعـــد الأنفس
إنـا وفينـا بـالـذي عـاهـدتنـا والخيلُ تقـدع بـالكماة وتَضْرِس[2]
حتى صبحنـا أهـل مكـة فيلقـا شهبـاء يقدمهـا الهمامُ الأشـوس[3]
وعلى حنين قـد وفى مـن جمعنـا ألف أمـد به الـرسـول عرنـدس[4]
كنـا أمـام المؤمنين دريئـة والشمس يومئـذ عليهم أَشْمُس[5]
نمضي ويحرسنـا الإلـه بحفظـه والله ليـس بضـائع مـن يحرس
ولقـد حبسنـا بـالمناقب محبسًـا رضي الإلـهُ بـه فنعـم المَحْبِس

وما أجمل قوله :[6]

يـا خـاتم النُبـاء إنك مـرسلٌ للحق كل هـدى السبيـل هـداكـا
إن الإلـه بنى عليـك محبـةً في خلقـهِ ومحمـدًا سماكـا

وقد اتصل به شاعرنا عمرو بن معد يكرب في الجاهلية ولكنه اتصال عداوة وبغضاء اتصـال في ساحـات القتال والنضـال ودارت بينهما معارك وحـروب ومناقضات في الجاهلية قـال أبو عبيدة : «[7] جمع العباس بن مـرداس بن أبي

---

(١) ابن هشام : ١/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨ والبداية ٤/ ٣٤٢ .
(٢) تقدع : تجري . الكُماة جمع كَمِيّ : وهـو الشجاع المُتكمي في سلاحه لأنه كَمَـى نفسه ، أي سترها بالدرع والبيضة .
الضَرْسُ : العض الشديد يقال ضرسهم الزمان : اشتد عليهم .
(٣) الفَيْلق : الجيش ، والشُهْبَةُ في الألوان : البيـاض الذي غلب على السواد ، والشوس النظـر بمؤخرة العين تكبراً أو تغيظاً .
(٤) العرندس : الشديد .
(٥) دريئة : سترًا .
(٦) الأغاني : ١٤/ ٣١٥ .
(٧) الأغاني ١٤/ ٣١٥ .

عامر ـ وكان يقال للعباس : مقطع الأوتاد ـ جمعا من بني سليم فيه من جميع بطونها ثم خرج بهم حتى صبح بني زبيد بتثليث من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة، فقتل فيها عددا كثيرا، وغنم ملء يديه» وفي العمدة[1]: «فصبر الفريقان ولم تظفر طائفة منهم بالأخرى»، وقال في ذلك العباس سينيته :

لأسماء رسمٌ أصبح اليوم دارسا
وأقفر منها رحرحان فراكسا

فأجابه عمرو بقصيدته :

تبدل آراما وعيْناً كوانسا
لمن طلل بالعمق أصبح دارسا

وممن اتصل بهم عمرو ابن أخته قيس[2] بن هبيرة ـ الملقب بمكشوح[3] ـ ابن هلال البجلي سيد بجيلة وفارسها، وكان شاعرا يكنى بأبي شداد دعاه عمرو إلى الإسلام بادئ الأمر حين انتهى إليهم أمر الرسول ﷺ وقال له : «يا قيس[4] إنك سيد قومك وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقال له نبي، فانطلق بنا حتى نعلم علمه، وبادره فروة لا يغلبك على الأمر فأبى قيس ذلك وسفه رأيه وعصاه، فركب عمرو متوجها إلى النبي، وقال خالفتني يا قيس» . وقال عمرو في ذلك :

---

(١) العمدة : ٢/ ٢١٧ .

(٢) انظر في ترجمته : الأعلام ٦/ ٦١ والمرزباني ٢٣٢ والطبري ٣/ ٢٦٩ والروض الأنف ١/ ٢٣٧ .

(٣) في فتوح البلدان ١١٢ أنه سمي بالمكشوح لأنه كوي على كشحه من داء كان به . وفي الروض الأنف ١/ ٢٣٧ : أنه سمي بذلك لأنه ضرب بسيف على كشحه . والكشح بفتح الكاف وسكون الشين ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي .

(٤) الأغاني : ١٥/ ١٦٣

أمـــرتُكَ يـــومَ ذي صنعـــا ءَ أمـــرًا بينـــا رَشَـــدُه
أمـــرتـك بـــاتقـــاء اللـــ ـــه تـأتيـــه وتَتَّعِـــدُه
فكنـت كـــذي الحُميِّر غـــرَّ ه مـن عيرهِ وتِـــدُه

وأسلم قيس بعد فترة ولكنه عاد وارتد مع الأسود العنسى بعد موت الرسول ﷺ، وغدر بداذويه، ودعاه إلى طعام فقتله[1] وكان قيس قبل أن يرتد وفيروز وداذويه متساندين، وقد طارده فيروز حتى فر منه ثم عاد إلى حظيرة الإسلام فكفر عن ردته بما بذله من جهود في الفتوحات الإسلامية زمن عمر وعثمان في القادسية وغيرها، وحضر معارك صفين مع علي فقتل في إحداها وكانت بينه وبين بني عمرو مناقضات في الجاهلية. وقدقال فيه عمرو يعيره غدره بداذويه وفراره من فيروز:

غـدرتَ ولم تُحسن وفـاء ولم يكن ليحتمل الأسبـابَ إلا المعـوّد[2]
وكيف لقيس أن ينـوطَ نفسَـهُ إذا ما جرى والمضرجيُّ المسوّدُ[3]

فقال قيس يرد عليه:

وفيتُ لقـومي واحتشـدت لمعشر أصابوا على الأحياء عمرا ومرثدا[4]
وكنت لـدى الأبنـاء لما لقيتهم كأصيـد يسمو بالعـزازة أصيدا

وقال عمرو:

فما إن داذوي لكـمُ بفخـرٍ ولكن داذوي فَضَحَ الـذمـارا[5]
وفيروز غـداةَ أصـاب فيكم وأضربَ في جموعكـم استجـارا

---

(١) الطبري ٣/ ٢٦٧.
(٢) الديوان: ٨٩.
(٣) المضرجي: الصقر الطويل الجناح، والرجل السيد.
(٤) الطبري ٣/ ٢٦٩.
(٥) الديوان ٩٧.

وقال قيس مفتخرا مخاطبا عمراً

فلـــو لاقيتني لاقيت قِـــرنًـــا ... وودعت الحبـائب بـــالسـلام[1]

لعلك مُـــوعِـــدي ببني زبيـــد ... ومـــا قـــامعتَ من تلـك اللئـام

ومثلُك قـد قـرنـت لـه يـديـه ... إلى اللحيين يمشي في الخطـــام

وقـد كانـت رابطة القـرابـة بينهما تدفعهما إلى العتـاب والتخفيف من نـار العداوة يقول عمرو:

تمنـى أن يـــــلاقيني قُييس ... وددت وأينما منـــــى ودادي[2]

فلـــو لاقيتني ومعي ســـلاحي ... تكشف شحـم قلبك عن سَـــواد

إذا لـــوجـدت خـــالك غير نِكْسٍ ... ولا متعلما ضرب الـــوِحـــاد[3]

يقلب لـــلأمـــور شرنبثـــاتٍ ... بأظفـــار مغـارزهـــا حِـداد[4]

فمن ذا عـــاذري من ذي سَفَـــاهٍ ... يَـــرودُ بنفســـــه شر المُرادِ

لقـد أسمعت لـو نـاديت حيـا ... ولكـن لا حيـــاة لمن تنـــادي

ولـــو نـــارٌ نفخت بها أضـــاءت ... ولكـن أنـت تنفـخ في رَمـــــاد

أريـــد حيـاتَـــه ويـريـــد قتلي ... عـــذيـــرك من خليلـك من مُـراد

ومـن يشرب بماء العَبْلِ يعـــــذر ... على مـــا كـــان من حُمى وِراد[5]

---

(١) سمط اللآلي ٦٤ وأسد الغابة ترجمة قيس.

(٢) الديوان: ٦٢ ـ ٦٥.

(٣) النِكْس: الرجل الضعيف.

(٤) الشَّرْبَثُ: الغليظ الكفين والرجلين.

(٥) العَبْلُ: الهَدبُ، وهـو كل ورق مفتـول مثل ورق الأرطى والأثل، يقـال: أَعْبَل الأرطى، إذا غلظ هَدَبُه في القيظ واحمر. وفي معجم ما استعجم: ٩١٧، أنـه نهرٌ لمراد باليمن ولا يشرب منه أحد إلا حُمّ.

الوِرْدُ: يوم الحمى إذا أخذت صاحبها لوقت

والوِرْدُ: خلاف الصدر وهو أيضا: الوُرَّاد وهم الذين يردون الماء.

والتقى عمرو بسعد بن أبي[1] وقاص القائد العربي المشهور والصحابي الجليل وأول من رمى بسهم في سبيل الله وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان عمرو أحد جنوده البارزين في معركة القادسية وأوفده سعد بعد فتح القادسية إلى الخليفة عمر فسأله عمر عن سعد فقال[2]: «هو لهم كالأب أعرابيٌّ في نَمِرتَه، أسدٌ في تامُورته[3] نَبطيٌّ في حُبْوَتِه، يَقْسِمُ بالسَّوِيَّة، ويَعْدِلُ في القضيَّة، وينفر في السَّريَّة، وينقل إلينا حقنا كما تنقل الذرة»، فقال عمر، وقد كان سعد قد كتب إليه يُثني على عمرو: لشدَّ ما تقارضتما الثناء.

وممن التقى بهم عمرو أيضا خالد[4] بن سعيد بن العاص وهو صحابي من الولاة الغزاة، ومن السابقين إلى الدخول في الإسلام، ولاه رسول الله ﷺ صدقات اليمن وقيل أمر بني زبيد خاصة، وقتل يوم مرج الصفر سنة ١٤هـ. التقى به عمرو وأهدى له سيفه الصمصامة، وقيل بل سلبه منه. وقال فيه:

وهبت لخالدٍ سيفي ثوابا ... على أم صمصامة أم سيف أم سلام
خليلمْ لم أهبه من قلاه ... ولكن أم تواهب في أم كرام
خليلمْ لم أخنه ولم يخني ... كذلك ما خلا لي أو ندامي
حبوت به كريما من قريش ... فسُرّ به وَصِين عن اللئام

---

(١) انظر في ترجمته: صفة الصفوة حـ١/ ١٣٨ وحلية الأولياء ١/ ٩٢ وتهذيب بن عساكر ٦/ ٩٣ وطبقات ابن سعد ٦/ ٦ والإصابة ترجمة سعد.

(٢) الشعر والشعراء ١/ ٣٧٢.

(٣) التامورة: عرين الأسد.

(٤) انظر في ترجمة خالد بن سعيد: الإصابة ١/ ٤٠٦ وطبقات ابن سعد ٤/ ٦٧ والأعلام ٢/ ٣٣٧.

«وقيل إن خالدا أعطاه خاتم ذهب كان عليه وقال فيه أيضا :

فقلت لبـاغي الخير إن تأتِ خـالـدا
تسر وتـرجع نــاعم البـال حــامـدا

وممن اتصل بهم عمرو فروة بن مسيك[1] المرادي وقد كان صحابيا وشاعرا وسيـدا من سادات اليمن أسلـم سنة تسع أو عشر واستعملـه النبي ﷺ على مـراد ومـذحج وزبيـد وثبت على الإسـلام حين ارتـد أهل اليمين مع الأسـود العنسي وتوفي سنة ٣٠ هـ وكانت بينه وبين عمرو عداوة وبغضاء .

(١) انظر في ترجمتـه : طبقات ابن سعد ١/ ٦٣ والأعلام ٥/ ٣٤٥ والإصـابة : ت ٦٩٨٣ ورغبة الآمل ٤/ ١٠ والطبري ٣/ ٢٦٨ .

صفاته وأخلاقه

من خلال أخبار عمرو التي وصلت إلينا، نجده فارساً عملاقا، ضخم الجثة يقول عمر بن الخطاب إذا رآه: «الحمد لله الذي خلقنا وخلق عمرا»[1] تعجبا من عظم خلقه، قوي الجسم، مفتول العضلات، صلب العود.، روي: (أنه لما شهر مضاء سيفه بين العرب، طلبه منه بعض الملوك فأخذه، فيقال: إنه ضرب به عنق بعير فلم يصنع شيئا، فأحضر الملك عمرا وأخبره خبر السيف فقال عمرو: أبيت اللعن! إني أعطيتك السيف ولم أعطك الساعد، وأخذ عمرو عمودا من حديد، فلف عليه رداءه وجاؤوه ببعير، فوضع العمود على عنقه ثم ضربه بالسيف فقطع العمود والعنق»[2]. وشهد القادسية وقد نيف على مائة السنة[3] وأتي له[4] بفرس يوم القادسية ضعيفة فطلب غيرها فأتي بفرس فأخذ بعكوة ذنبه وأخلد به الأرض فأقعى الفرس فرده، وأُتي بآخر ففعل به مثل ذلك فتحلحل ولم يقع فقال: هذا على كل حال أقوى من تلك.

وأمسك برجل فرس رجل من العجم وصاحبها يضربها فما قدرت على أن تتحرك من يده. وجاءه رجل بعد أن تقدمت به السن فقال: لأنظرن ما بقي من قوة أبي ثور، فأدخل يده بين ساقيه وبين السرج، وفطن عمرو فضمها عليه وحرك فرسه، فجعل الرجل يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينزع يده حتى إذا بلغ منه قال: يا ابن أخي، مالك؟ قال: يدي تحت ساقك! فخلى عنه.

---

(١) الأغاني ١٥/ ٢١٣.

(٢) شرح ديوان أبي تمام: ٣/ ٢٨٢.

(٣) الأغاني ١٥/ ٢١٧.

(٤) الأغاني ١٥/ ٢١٧.

وقال: يا ابن أخي، إن في عمك لبقية[1].

وكان أكولا معدودا من مشاهير أهل الزرد، دخل[2] على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له يا أبا ثور من أين أقبلت؟ فقال: من عند سيد بني مخزوم أعظمها هامة، وأمدها قامة، وأقلها ملامة، وأفضلها حلما، وأقدمها سلما وأجرئها مقدما، قال: من هو؟ قال: سيف الله وسيف رسوله خالد بن الوليد قال: وأي شيء صنعت عنده؟ قال: أتيته زائرا فدعا لي بكعب[3] وقوس[4] وثور[5] فقال عمر: وأبيك إن في هذا لشبعا قال: لي أو لك يا أمير المؤمنين؟ قال: لي ولك. قال: حلا يا أمير المؤمنين فيما تقول «إني لآكل الجذع من الإبل أنتقيه عظما عظما وأشرب التبن من اللبن رثيئة وصريفا»[6].

وقدم على عمر وهو يغدي الناس وقد جفن لعشرة عشرة، فأقعده عمر مع عشرة فأكلوا ونهضوا. ولم يقم عمرو، فأقعد معه تكملة عشرة فأكلوا ونهضوا ولم يقم عمرو، فأقعده مع عشرة حتى أكل مع ثلاثين ثم قام. فقال: يا أمير المؤمنين إنه كانت لي مآكل في الجاهلية منعني منها الإسلام، وقد صررت في بطني صرتين وتركت بينهما هواء فسده قال عمر: «يا عمرو عليك حجارة من حجارة الحرة فسده بها»[7] وقال لأخته يوما: أشبعيني إن غدا الكتيبة. ولما

---

(١) الأغاني ١٥/ ٢٢٢.

(٢) الأغاني ١٦/ ٣٦ (دار الثقافة) والأمالي ٢/ ٣٠٣ والاشتقاق لابن دريد: ٢٤ والشريشي ٢/ ٦٨ وذلك مع خلاف يسير في الرواية.

(٣) في الأمالي الكعب: القطعة من السمن وفي الاشتقاق بقية السمن في النحي أو الربّ ما يبقى في أسفل النحى.

(٤) في الأمالي والاشتقاق: القوس البقية من التمر تبقى في الحلة.

(٥) في الاشتقاق: الثور، القطعة العظيمة من الأقط، وفي الأمالي القطعة من الأقط.

(٦) التبن: القدح الكبير، والرثيئة: اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض فيروب من ساعته، والصريف: اللبن الذي ينصرف عن الضرع حارا وقت حلبه.

(٧) الأغاني ١٥/ ٢٢١.

سألتـه عما يشبعـه قال : فـرق ذرة وعنـز ربـاعية وكـان الفـرق يـومئذ أربعـة أصوع»[1].

وكان شجاعـا بئيسا تنطق ملامحه ونظـرات عينيه بشجاعة تفـوق شجاعة الشجعان وبطولة يعـز مثلها على الأبطال، ترتعد لذكـره الفرائص، خرج مرة يريـد الغارة وبينا هو يسير إذ هـو بفرس مشدود ورمح مركـوز ورجل جالس وهو كأعظم مـا يكون من الـرجال خلقا، محتب بسيفـه فقال له عمـرو: خذ حذرك فإني قاتلك، فقال: ومن أنت؟ قال: أنا عمرو بن معد يكرب فشهق شهقة فمات[2]، وتغنى بشجاعته وبطولته في غير موضع من شعره، وشُهد له بالشجـاعة والفروسية. ففي طبقـات ابن سعد أنه فـارس العرب[3]، وروى عن أبي عبيدة: أنه قـال: عمرو بن معد يكرب فـارس اليمن وهو مقدم على زيـد الخيل في الشـدة والبأس[4]. وسأل أبـو حـاتـم الأصمعي عن عمـرو فقال[5]: هو من الفـرسان. وروى أبو عمـرو بن العلاء أنـه قال: لا نفضل على عمرو فارسـا في العرب[6]. وذكر المرزباني[7]: أنه من فحـول الفرسان. ووصفه ابن كثير فقال: أبـو ثور أحد الفرسان المشـاهير الأبطال، والشجعان المذاكير[8]. وفي الخزانـة[9]: أنـه الفـارس المشهـور وصـاحب الغـارات في

---

(١) الأغاني ١٥/ ٢٠٨.

(٢) نهاية الارب للنويري ٢/ ١٧٦.

(٣) طبقات ابن سعد / ٥٢٥.

(٤) الأغاني ١٥/ ١٦٢.

(٥) الموشح ١٢٠.

(٦) معجم الشعراء ١٦ والإصابة ٣/ ٢١.

(٧) معجم الشعراء ١٦.

(٨) البداية والنهاية: ٧/ ١١٩.

(٩) خزانة الأدب ١/ ٤٢٦.

الجاهلية والإسلام. وقال الجمحي[1]: فارس اليمن في بني زبيد عمرو بن معد يكرب، وفي الاشتقاق أنه فارس العرب[2].

وكان يعترف للشجاع بشجاعته فلم يكن متهورا ولا مغرورا يقول: «[3] لو سرت بظعينة وحدي على مياه معد كلها ما خفت أن أغلب عليها، ما لم يلقني حراها أو عبداها. فأما الحران فعامر بن الطفيل وعُتيبة بن الحارث بن شهاب، وأما العبدان فأسود بني عبس (يعني عنترة) والسُّليك بن السلكة، وكلهم قد لقيت فأما عامر بن الطفيل فسريع الطعن على الصوت، وأما عتيبة فأول الخيل إذا أغارت وآخرها إذا آبت. وأما عنترة فقليل الكبوة، شديد الجَلَب[4] وأما السليك فبعيد الغارة كالليث الضاري. فاعترف لهؤلاء الأربعة بالشجاعة وبخوفه منهم ووصفهم وصف من عركته الحروب وذاق مرارتها وصبر على بلواها.

وتروى له قصة طريفة يعترف فيها ببطولة ربيعة بن مُكَدَّم سأله عمر بن الخطاب فقال له: [5] «هل كععت[6] من فارس قط ممن لقيت؟ قال عمرو: اعلم يا أمير المؤمنين، أني لم أستحل الكذب في الجاهلية، فكيف أستحله في الإسلام؟ ولقد قلت لجبهة من خيلي، خيل بني زبيد، أغيروا بنا على بني البكاء. فقالوا: بعيد علينا المغار. فقلت: فعلى بني مالك بن كنانة، قال: فأتينا على قوم سراة فقال عمر: ما علمك بأنهم سراة؟

---

(١) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ٢/ ١٩٠.

(٢) الاشتقاق ٤١١ والاستيعاب ٣/ ١٢٠٢.

(٣) الأغاني ١٥/ ١٦٧ (دار الثقافة).

(٤) الجَلَبُ الصوت.

(٥) الأغاني ١٦/ ٣٧ (دار الثقافة).

(٦) كععت: ضعفت وجبنت.

قال: رأيت خيلهم كثيرة، وقدوراً مثفاة[1]، وقباب أدم، فعرفت أن القوم سراة. فتركت خيلي حجرة[2]، وجلست في موضع أتسمع كلامهم، فإذا بجارية منهم قد خرجت من خيمتها، فجلست بين صواحب لها، ثم دعت وليدة من ولائدها، فقالت: ادعي فلانا فدعت لها برجل من الحي، فقالت له: إن نفسي تحدثني أن خيلا تغير على الحي، فكيف أنت إن زوجتك نفسي، فقال: أفعل وأصنع، وجعل يصف نفسه فيفرط. فقالت له: انصرف حتى أرى رأيي. وأقبلت على صواحباتها، فقالت: ما عنده خير، ادعي لي فلانا. فدعت بآخر. فخاطبته بمثل ما خاطبت به صاحبه، فأجابها بنحو جوابه، فقالت له: انصرف حتى أرى رأيي وقالت لصواحباتها: ولا عند هذا خير أيضا. ثم قالت للوليدة ادعي لي ربيعة بن مكدم. فدعته؟ فقالت له مثل قولها للرجلين، فقال لها: إن أعجز العجز وصف المرء نفسَه، ولكني إذا لقيت أعذرت، وحسب المرء غَناءً أن يُعْذِر، فقالت له: قد زوجتك نفسي، فاحضر غدا مجلس الحي، ليعلموا ذلك، فانصرف من عندها، وانتظرتُ حتى ذهب الليل، ولاح الفجر، فخرجت من مكمني، وركبت فرسي، وقلت لخيلي: أغيري، فأغارت، وتركتها وقصدت نحو النسوة ومجلسهن، فكشفت عن خيمة المرأة فإذا أنا بامرأة تامة الحسن. فلما ملأت عينها مني، أهوت إلى درعها فشقته وقالت: واثكلاه؟ والله ما أبكي على مال ولا تِلاد، ولكن على أخت من وراء هذا القَوْز[3] تبقى بعدي في مثل هذا الغائط، فتهلك ضَيْعَةً، وأومأت بيدها إلى قَوْز رمل إلى

---

(١) مثفاة: منصوبة على الأثافي، استعدادا للطبخ.

(٢) ناحية وجانبا.

(٣) القوز بالفتح: الرمل المرتفع المستدير.

جانبهم فقلت: هذه غنيمة من وراء غنيمة. فدفعت رأسي حتى أوفيت على الأنقاء[1]، فإذا أنا برجل جَلْدٍ نَجِد، أهْلَب[2] أغلب يخصف نعله، وإلى جنبه فرسه وسلاحه. فلما رآني رمى بنعله، ثم استوى على فرسه، وأخذ رمحه، ومضى وما يحفل بي. فطفقت أشجره بالرمح خفقا[3] وأقول له: يا هذا استأسر، فمضى ما يحفِلُ بي. حتى أشرف على الوادي. فلما رأى الخيل تحوي نَعمَه استعبر باكيا، وأنشأ يقول:

قد علمت إذ مَنَحتني فاها
أني سَأحْوِي اليوم مَنْ حَوَاها
بل ليت شعري اليوم من دهاها

فأجبته:

عَمروٌ على طول الوَجىَ دهاها[4]
بالخيل يحميها على وجاها
حتى إذا حل بها احتواها

فحمل علي وهو يقول:

أهنَّ بِنُضْر العيش في دار نَدَمْ أُفيض دمعا كلَّما فاض انسجم
أنا ابنُ عبد الله محمود الشيم مؤتمن الغيب وفيٌّ بالذمم
أكرم من يمشي بساق وقدم كالليث إن همَّ بتقْصام قَصَم[5]

---

(١) الأنقاء: جمع نقا، وهي القطعة من الرمل.

(٢) نجد: شجاع، الأهلب: الكثير شعر الرأس والجسد.

(٣) شجره بالرمح: طعنه حتى اشتبك فيه. والخفق: الضرب بشيء عريض، ولعله يقصد أنه يضربه بخرج الرمح لا سنانه.

(٤) الوجى: الحفا وهو أن يرق القدم أو الحافر من طول السفر.

(٥) قصمه: كسره وأبانه.

فحملت عليه وأنا أقول :

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الأصم أنـا ابنُ ذي الأكّال قتّـال البُهَمْ[1]

مـن يلقني يـــــودِ كما أودتْ إرم أتــركـــه لحمًا على ظهــر وَضَم[2]

فحمل علي وهو يقول :

هـذا حمىً قـد غـاب عنـه ذائـده

المـــــوت وِردٌ والأنـــــام واردُه

وحمل علي فضربني، فَرُغْت وأخطأت، فـوقع سيفه في قَـربُوس[3] السَّرْج فقطعـه ومـا تحته، حتى هجم على مَنْسَـج الفرس. ثم ثنّى بضربـة أخـرى، فَـرُغْتُ وأخطأني فوقع سيفـه على مؤخـر السرج فقطعه حتى وصل إلى فخـذ الفـرس وصرت راجلا. فقلت: ويحك من أنت؟ فـوالله ما ظننت أحـدا من العرب يُقدم عليَّ إلا ثـلاثة: الحارث بن ظالم، للعُجْب والخُيَلاء، وعـامر بن الطفيل للسن والتجـربـة، وربيعـة بن مكـدَّم للحـداثـة والغـرَّة، فمن أنت ويلك؟ قال: بل الويل لك. فمن أنت؟ قلت: عمرو بن معد يكرب قال: وأنـا ربيعة بـن مكدم. قلت: يـا هـذا، إني قد صرت راجـلا، فـاختر مني إحدى ثلاث، إن شئت اجتلدنا بسيفنا حتى يموت الأعجز منّا، وإن شئت اصطرعنا فأينا صرع صاحبه حكم فيه، وإن شئت سالمتك وسالمتني. فقال: فـالصلح إذًا إن كان لقـومك فيك حاجـة، وما بي أيضـا على قومي هـوان. قلت: فذاك لك، وأخـذت بيده، حتى أتيت أصحابي، وقد حـازوا نَعمَه، فقلت: هل تعلمـون أني كِعْت عن فارس قط من الأبطـال إذا لقيته؟ قـالوا: نعيذك من ذلك. قلت: فـانظروا هذا النعم الذي حـزتموه، فخذوه مني غدا

---

(١) البُهم: جمع البُهْمة: وهو الفارس الذي لا يُدرى من أين يُؤتى، من شدة بأسه.

(٢) الوَضَم: كلّ شيء يجعل عليه اللحم من خشب أو نحوه، يوقي به سر الأرض

(٣) قربوس السرج: الجزء المرتفع من مقدمه ومؤخره.

في بني زُبيد، فإنه نَعَم هذا الفتى، والله لا يوصل إلى شيء منه وأنا حي. فقالوا: لحاك الله من فارس قوم، أشقيتنا حتى إذا هجمنا على الغنيمة الباردة فثأتنا[1] عنها. فقلت إنه لا بد لكم من ذاك، وأن تهبوها لي ولربيعة بن مكدَّم. فقالوا: وإنه لهو؟ قلت: نعم. فردوها وسالمته، فأمن حربي وأمنت حربه حتى هلك.

وهكذا كان يتمتع برجاحة العقل واتزانه، يجتنب المزالق، ولا يلقي بنفسه في المهالك، يقدم إذا رأى الإقدام عزما، ويحجم إذا رأى الإحجام حزما يقول:

ولقد أجمعُ رِجلَيَّ بها ... حذَر الموت وإني لفرورُ
ولقد أعطِفها كارهةً ... حين للنفس من الموت هريرُ
كل ما ذلك منى خُلُقٌ ... وبكُلٍّ أنا في الحرب جَديرُ[2]

ويقول:

وليس يعاب المرء من جبن يومه ... إذا عُرفت منه الشجاعةُ بالأمس[3]

ويقول:

إذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع[4]

وكان داهية في الرأي وصاحب قول ومشورة ولا أدل على ذلك من كتابة الفاروق إلى سعد بن أبي وقاص في معركة القادسية، وإلى النعمان بن مقرن في وقعة نهاوند بأن يصدرا[5] عن مشورته، وتلك المقابلة التي دارت بينه وبين عمر حين أرسله سعد بن أبي وقاص عقب القادسية وأخذ عمر يسأله عن

---

(١) فثأتنا: كنفتنا
(٢) الديوان: ١٠٢.
(٣) الديوان ١١٩.
(٤) الديوان ١٤٣.
(٥) أسد الغابة ٤/ ١٣٣ والإصابة ٣/ ٢١.

أحوال المجاهدين وعن سعد في جنده فقال عمرو[1]: هو لهم كالأب، أعرابي في نمرته، أسد في تامورته[2]، نبطي في حبوته، يقسم بالسوية، ويعدل في القضية، وينفر في السرية، وينقل إلينا حقنا كما تنقل الذرة، فقال عمر وقد كان كتب إليه سعد يثني على عمرو: لشد ما تقارظتما الثناء! وسأله عمر عن الحرب، فقال: مُرَّةُ المذاق، إذا قَلَّصت[3] عن ساق، من صبر فيها عُرف ومن ضعف عنها تَلِف ثم قال:

الحربُ أوَّلَ مـــا تكـــون فتيـــةٌ تسعى بـــزينتهـــا لكل جهـــولِ
حتى إذا حميت وشب ضرامُهـــا عـــادت عجـــوزا غيرَ ذات حَليل
شمطـاء جـزت شعـرهـا وتنكـرت مكـــــروهـــــةً للشم والتقبيـل

وسأله عن السلاح فقال: الرمح[4] أخوك، وربما خانك، والنبل منايا تخطئ وتصيب، والترس هو المجن، وعليه تدور الدوائر، والدرع مشغلة للفارس متعبة للراجل، وإنها لحصن حصين.

وردد البصر في تلك المقابلة الأخرى التي دارت بينه وبين عمر أيضا فستجده يأسر لبك بإدراكه وفهمه ودرايته.

قال عمر بن الخطاب ـ رحمه الله ـ لعمرو بن معد يكرب: يا أبا ثور، إن أهل اليمن لا ينكرون أنك فارسهم وأنجد رجالهم المعدودين في الجاهلية، فكيف علمك بهم؟ قال عمرو: أنا أعلم الناس بالناس، قد أغرت عليهم وأغاروا علي، وغزوتهم وغزوني، وهم ــ يعني أهل اليمن ــ أرباب العرب

---

(١) الشعر والشعراء ١/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣.

(٢) التامورة: عرين الأسد.

(٣) قلصت: شمرت.

(٤) الشعر والشعراء: ١/ ٣٧٣ والعقد الفريد ١/ ١٧٩ وحلية الفرسان ٢٣٦ وعيون الأخبار ١/ ١٢٩ ـ ١٣٠.

شربوا الصفو. ورعوا الصفو قال: ما تقول في كندة؟ قال: أرباب الملوك أعظمنا أحلاما، وخيرنا أياما، قال: ما تقول في الأزد؟ قال: هم أشد الناس، أقدمنا ميلادا وأثبتنا عمادا، قال: فما تقول في غسان منها؟ قال: أقتلنا للجبابرة وأملأنا للمنابر قال: فما تقول في الأوس والخزرج منها؟ قال: أعزنا دارا وأمنعنا جارا وأولنا إسلاما وأكثرنا غلاما، قال: فما تقول في خزاعة منها؟ قال: خيرنا للقريب وأمنعنا للغريب قال: فما تقول في أزد السراة منها؟ قال: أحدنا في اللقاء وأصبرنا في البلاء، قال: فما تقول في أزد عمان منها؟ قال: أنزلنا للبراح[1] وأطعننا للرماح، قال: فما تقول في بلحارث بن كعب؟ قال: أقتلنا للطاغية وأوهبنا للغالية[2] قال: فما تقول في همدان، قال: أحلاس الخيل[3] وعدة القيل، أطلبنا بالقتيل وأنصرنا للذليل.

قال فما تقول في قضاعة؟ قال: هامة العرب، أطولنا عنانا وأحدنا سنانا، قال: فما تقول في كلب بن وبرة منها؟ قال: أربطنا للخيل وأبذلنا للنيل، قال: فما تقول في عذرة منها؟ قال: أكرمنا رفدا[4] وأبذلنا وجدا، فقال: فما تقول في القين منها؟ قال: أعظمنا رقابا وأكرمنا نصاباً، قال: فما تقول في جهينة منها؟ قال: أوثبنا لفرصة وأبعدنا من حيصة[5]. قال: فما تقول في نهد منها: قال: أنجدنا فوارس، وأعقنا مجالس قال: فما تقول في جرم منها؟ قال أخوفنا صباحا وأطولنا رماحا. قال: فما تقول في سليح منها؟ قال: أولنا مطعنا وأطولنا في الملك مرحبا. قال: فما تقول في خولان منها؟ قال: أحدنا

---

(١) البَرَاحُ: المُتَّسِعُ من الأرض لازرع فيها ولا شجر.

(٢) الغالية: النفيس من الأشياء.

(٣) في الحديث: «كن حلس بيتك» أي لا تبرح.

(٤) الرِفد: العطاء والصلة.

(٥) حاص عنه يحيص حيصة وحيصة وحيوصا ومحيصا ومحاصا وحيصانا عدل وحاد.

حـدا وأجدنـا جدا، قـال: فما تقول في لخم؟ قـال: غيث العرب والملـوك في الحِقب[1] قال: فما تقول في جذام. قال: سباع الشر وأهل الصبر عند الكر. قال: فما تقـول في طيئ قال: أظفـرنا مغيرا وأفضلنا مجيرا، قـال. فما تقول في عاملة قال: أطلبنا للطائلة وأخفرنـا للسائلة وأعدلنا للمائلة. قال: فما تقول في الأشعريين؟ قال أكثرنا أموالا وأعزنـا رجالا. قال: فما تقول في مراد؟ قال: أعظمنا خلقا وأفضلنـا رزقا. قال: فما تقول في عنس؟ قـال: أقرانا للضيف وأضربنـا بالسيف. قـال: فما تقول في الهميـع بن حمير؟ قال: أقـدمنا ملكـا وآخرنا هلكا. قال: فما تقول في سعد العشيرة يا أبا ثور؟ فضحك عمرو حتى قهقـه، قال: هم سنـام والناس أجسـام. فتبسم عمر من مقـالته؟ وقـال: احفظوا عن أبي ثور مقالته فليس مثلها يضيع[2].

وكان صاحب مروءة وعفة يبتعد عن الأخلاق السيئة ويصد عنها.

فأعـــددت ذاك وكنـت امـــرأً أصـــد عن الخلـق الفـــاحش

وفوق هذا كله فهو حليم سمح الأخلاق واقرأ قوله:

يبرونَ عظمـي وهمي جَبْرُ أعظُمِهِـم شتـان مـا بيننـا في كل مـا سبب

أهـــوى بقـــاءهم وأكثـــرُ مـــا يهوون أن أغتـدي في حفـرة امترب

هذا وجاء في الأغاني، أنه شرب الخمر مع عيينـة بن حصن بالكوفة، وأنه هجا سعد بن أبي وقاص، وأنه كان مشهورًا بالكذب[3].

ويغلب على الظن، أن هـذه الـروايات ليسـت بصحيحة فلم يـروهـا إلاّ صاحب الأغاني فيما أعلم، وكتـاب الأغاني ليس من كتب الثقات حيث ورد

---

(١) الحِقب: السنون والحُقُب بضمتين الدهر وجمعه أحقاب.

(٢) الإكليل ٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٧.

وردت هذه القصة في مروج الذهب ٢/ ٣٣٢ مع خلاف يسير في السياق.

(٣) الأغاني: ١٥/ ١٧٠.

في تاريخ بغداد[1]: «أن أبا الفرج كان من أكـذب الناس. كما أنه من خلال استعـراضنـا لسيرتـه ـ يعنـي عمرًا ـ نجـد بعض الأبيـات التي يعترف فيهـا للشجـاع بشجاعتـه، وبعض الأبيات التي يعترف فيهـا بفراره من الأبطـال، وقصة يـذكر فيها أنـه كان لا يستحل الكذب في الجاهليـة فكيف يستحله في الإسلام[2].

وهكذا فمهما يكن من أمـر فقد كان إمـاما في الشجـاعة، وإمامـا في قول الشعـر، وإمامـا في رجـاحـة العقل وإمامـا في قـوة الشخصيـة، وإمامـا في ضخامة الجسم، وإماما في حسن الخلق.

---

(١) تاريخ بغداد: ١١/ ٣٩٩.

(٢) الأغاني: ١٦/ ٣٧.

الصَّمْصَامة

الصَّمْصامة : اسم سيف عمرو، وقد ورد معناه في المعاجم اللغوية أنه السيف الصارم الذي لا ينثني . قال الجوهري : الصَمْصَامُ والصَمْصَامَةُ السيف الصارم الذي لا ينثني[١] وقال ياقوت : سيف صمصام وصمصامة : صارم لا ينثني[٢] وورد في تاج العروس أنه السيف الذي لا ينثني في ضريبته[٣] وقال الليث : الصمصامة اسم للسيف القاطع والليل[٤] وذكر الفيروز آبادي : أنه السيف الذي لا ينثني[٥] وعند الزمخشري أنه الماضي في الضريبة[٦].

وجاء في وصفه أنه «كان له حد من جانب وجانبه الآخر حاف لا يقطع»[٧] وأن وزنه ستة أرطال[٨]. وذكر الطبري أنه صفيحة موصولة من أسفلها مسمورة بثلاث مسامير تجمع بين الصحيفة الصلة[٩]، وورد أن حديده من جبل نقم[١٠] وقيل إنه صنع من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة[١١]. وورد أن طوله سبعة أشبار وافية وعرضه شبر[١٢].

---

(١) تاج اللغة وصحاح العربية ٢/ ٣٠٦ .
(٢) لسان العرب ١٢/ ٣٤٧ .
(٣) تاج العروس : ٨/ ٣٧٠ .
(٤) لسان العرب ١٢/ ٣٤٧ .
(٥) القاموس المحيط ٢/ ١٤١ .
(٦) أساس البلاغة ٢٥٩ .
(٧) حلية الفرسان ٧/ ١٩١ .
(٨) ديوان المعاني للعسكري ٢/ ٥٣ .
(٩) تاريخ الطبرى (م دار القاموس) ١١/ ١٧ .
(١٠) ملوك حمير / ٩٣ والإكليل ٨/ ٢٥٧ .
(١١) الروض الأنف ١/ ٢٣٩ .
(١٢) وحي القلم ٢/ ٢٦٥ .

وروي أنه لما اشتهر أمر السيف، طلبه منه بعض الملوك فأخذه، فيقال: إنه ضرب به عنق بعير فلم يصنع شيئًا، فأَحضر الملك عمرًا وأخبره خبر السيف، فقال عمرو: أبيت اللعن! إني أعطيتك السيف ولم أُعطك الساعد، وأخذ عمرو عمودا من حديد، فلف عليه رداءه، وجاؤوه ببعير فوضع العمود على عُنقه ثم ضربه بالسيف فقطع العمود والعنق، فرد الملك السيف[1].

وقد كثرت الأخبار حوله ومن كان يملكه قبل أن يصير إلى عمرو، فذكر الهمداني ونشوان الحميري: أنه من بقايا السيوف الحميرية اليرعشية التي أحدثها شمر يرعش بن أبقيس بن أبرهة ذي المنار بن الحارث الرائش[2] وأنه كان لعلقمة[3] بن ذي قيفان الأصفر من ولد ذي بيح[4] بن ذي قيفان الأكبر. وقد أيدهما في ذلك عمرو في شعره فقال:

وسيف لابن ذي قيفان عندي تخيره الفتى من عهد عاد[5]

وملكه عمرو بالهبة من علقمة[6]. وقيل إنه[7] وفد على علقمة بن ذي قيفان في وفود كهلان فقتله ويدل على ذلك قول الأجدع بن مالك:

---

(١) ديوان أبي تمام ٣/ ٢٨٢.

(٢) الإكليل ٨/ ٢٥٧ وملوك حمير / ٩٣.

(٣) الإكليل ٢/ ٣٠٢ وملوك حمير / ٩٣.

(٤) معنى ذي بيح: ذو خيرة القوم وشرفهم وفي كلام أهل صنعاء القديم وكلام حمير: هو بيح القوم أي أكملهم وخيرهم وكان علقمة ملكا بعمران من أرض البون، الإكليل ٢/ ٣٠٣.

(٥) الديوان ـ ٦٣: وفي الاشتقاق لابن دريد ٥٣١: أنه ذو قيفان بن علس بن جَدَن. وقيفان: فَعَلان من القَفَن، والقفن: دُخول الرأس في العنق والصدر.

(٦) ملوك حمير / ٩٣.

(٧) هامش الإكليل عن نص وجده المحقق في النسخة المخطوطة ٢/ ٣٠٥.

أذل ابن ذي قيفـان عمــرو بضربـة على الرأس بالصمصـام والناس حضر
بَنَى لكم يـا مـذحج العز فـاعلمـوا مفاخـركم عمـرو على الناس فـافخروا

وهناك رواية ثـالثة تجعل الصمصامة يصير إلى زيـد بن مرب الهمداني قبل أن يصل إلى عمرو بن معديكرب يقول الهمداني[1] «كان علقمة ضرير البصر وكانت همدان حـرسه وحاشيته، وكان نـديمه زيد بن مـرب. . فمرت جباة علقمـة بن ذي قيفـان وقد أخـذوا الأتـاوة من بعض قبـائل هوازن وانصرفـوا يريدونه بها، فعـرضت لهم شاكر ونهم ابنا ربيعة، وكـانوا في مخمصة، فطلبوا بعض ذلك العقل، فحالت الجبـاة دونه فقتلـوهم وأخذوا الإبل، فبلغ ذلك ابن ذي قيفـان، فغضب لذلك غضبـا شـديدا وآلى بأليـة[2] ليقتصن، مـن هذين الحيين سبعين بكـرا لجرأتهم عليه، فأقبل الحيان شاكـر ونهم، إلى زيد ابن مرب، وهـو في منزله. . . فقالـوا أنت سيدنا وأنت نـديم الملك وجليسه وقد آلى بما تعلـم، والله لا يصل إلى أخواتنـا وبناتنا ومنـا رجل حي، فاسـأله فليصفح عنـا لك: فقـال: إنه قـد آلى ولا يـرجع عن أليتـه، قالـوا: فإن أبي فـاقتلـه ونحن نملكك علينـا؟ قـال: لا تعجلـوا وامهلـوا حتى أرى لـذلك موضعـا، فأمسكوا. فبينما زيد جـالس مع علقمة، إذ جرى ذكـر السيوف، فقـال علقمة: عنـدي سيف لأجـدادي يضرب به المثـل، فقال زيـد: أبيت اللعن، فادع به لأنظر إليه، فدعا به، فنظر إليه علقمة ساعة، ثم ناوله زيدا فنظر إليه فإذا فيـه كتاب مزبور(٣)، قال أبيت اللعن، ما هـذا الكتاب؟ قال عليـه مكتوب «ضرس العير سيف الخير بـاست من وقع بيـده، فلم يغضب لقومه» وقيل: كان فيه مكتوب:

---

(١) الإكليل ٢/ ٣٠٢.

(٢) الألية: الحلف والعهد.

(٣) في القاموس: الزبور: الكتاب بمعنى المزبور.

ذكـــر على ذكـــر بكف مضـــارب ذكـــر يميـــن في يميـــن يمـــان

فهزه زيد ساعة ثم ضربه به فقتله ووثبت همدان فألبسوه التاج الذي على ابن ذي قيفان وملكوه عليهم . . . ثم إن همدان أصابت من زبيد نفرا في عصر قيس بن زيد، فطالبتهم مذحج بالعقل إن كان الصمصامة أو قود الرجال، فدفع قيس إليهم الصمصامة، فاستأثر به معد يكرب، وأرضى قومه من ماله .

ويقال : بل استلبته زبيد من قيس في طريق عكاظ، فأحمشوا همدان في ذلك غضبا، واحتقبوها[1] على زبيد فلما مر عمرو بن معد يكرب ديار سفيان ابن أرحب، يريد إلى صهره الأجدع بن مالك الوادعي، عدت عليه بنو الأصيد فأخذوا لأمته وفرسه، ثم صار ـ أي الصمصامة ـ إلى عمرو بن معد يكرب فكان يشهد به الوقائع . . . » .

وظل عنده حتى صار إلى خالد بن سعيد[2] بن أبي العاص . وقيل لسعيد[3] بن أبي العاص، وقد نفى محقق الجزء الثاني من الإكليل[4] الأستاذ علي الأكوع أن يكون سعيد الذي صار إليه السيف، وذلك أن سعيدا هذا استشهدبالطائف ولم يذكر أصحاب التواريخ أنه قتل في مرج الصفر، وإنما الذي قتل هناك خالد بن سعيد، كما لم يأت له ذكر في تواريخ اليمن أو أنه

---

(١) احمشوا : اغضبوا . احتقبوها : ادخروها واحتفظوا بها .

(٢) ثمار القلوب ٤٩٧ والمعارف (دار الكتب) ٢٩٦ والأغاني ١٦٥ (دار الثقافة) وأنساب الأشراف/ ١٢٨ وفتوح البلدان عن ابن الكلبى ١٢٥ ومعجم ما استعجم ٢/ ٦٥٠ وأسد الغابة ـ عمرو ـ ٤/ ١٣٣ والعبر ٢/ ٨٤٤ والإصابة عمرو والمستطرف ١/ ٢٢٦ والطبري (دار القاموس) ٣/ ٢٦ والاشتقاق ٧٨ والروض الأنف ١/ ٢٣٩ .

(٣) الإكليل ٢/ ٣٠٨ ولسان العرب ١٢/ ٣٤٨ مادة صمم ومعاني العسكري ٢/ ٥٣ وزهر الآداب ٢/ ٧٨٠ .

(٤) هامش الإكليل ٢/ ٣٠٨ .

تولى شيئا منها . وذكر عمرو في شعره أنه أهداه لخالد بن سعيد يقول[1]:

وهبتُ لخالـــدٍ سيفي ثـــوابًـــا على أم صمصـامة أم سيف أم سـلام
خليـلٌ لم أهبـــــه مـن قـــــلاه ولكن أم تـــــواهب في أم كـــــرامِ
خليلـم لم أخنـــــــــه ولم يخني كـذلـك مـا خـلا لي أو نـــدامي
حبـوت بـه كـريما مـن قـريش فَسُر بـــــه وصِينَ عن اللئـــــام
وكنتُ إذا نهضـت بـــه لقـــوم تجاوب صـــوتُ نـوحِ بـــالنـــدام

غير أن الطبري وابن الأثير وابن خلـدون يذكـرون أن خـالدا سلب عمـرا الصمصامـة وورد في الإصابة أن خالـدا وهب سبي زبيد لعمرو فأهـدى إليه الصمصامة

ويرى فـريق أن عمـرًا أهداها إلى خـالد لما مـنّ على أخته ريحانـــه بعد أن سباها [2]. ويـروي البـلاذري عن ابن الكلبي أن خـالدا سبى امـرأة عمـرو وعـدة من قومـه فعـرض عليـه عمرو أن يمن عليهم ويسلمـوا ففعل وفعلـوا فوهبه عمرو سيفه الصمصامة[3].

وروى العسكري في معـانيه عن الهيثم بن عدي أن سعيد بن العـاص قال وهو بالكـوفة لعمرو بن معد يكرب هبني الصمصـامة فإنك قد ضعفت عن حمله . فقـال عمرو: ما ضعفت قناتي ولا جنـاني ولا لساني وإن اختل جثماني وهو لك على أنه أوحش من لا يؤنسه وأظلم من لا يقبسه[4].

وجاء في الإكليل أن النبي ﷺ جهز سعيـد بـــن أبـي العاص إلـى اليمـن ـ ويقال خالد بن سعيد ـ من طريق نجد فمر ببني زبيد فنزله عمرو وأكرمه،

---

(١) الديوان: ١٦٢ .
(٢) معجم ما استعجم ٢/ ٦٥٠ ، الأغاني ١٥/ ١٦٥ (دار الثقافة) والروض الأنف ١/ ٢٣٩ .
(٣) فتوح البلدان / ١٢٥ .
(٤) ديوان المعاني ٢/ ٥٣ .

فسأله سعيد الصمصامة بيعا أو هبة، فوهبه إياه. . ثم لم يزل مع سعيد بن أبي العاص حتى قتل يوم مرج الصفر[1].

وفي أنساب الأشراف أن عمرا وهب لخالد بن سعيد بن العاص سيفه الصمصامة وقال:

حبوت به كريما من قريش فسر به وصين عن اللئام

فأعطاه خالد خاتم ذهب كان عليه وكان خالد والي رسول الله ﷺ على صدقات اليمن وقيل على أمر بني زبيد خاصة[2].

وبعد أن قتل خالد بن سعيد يوم مرج الصفر أخذه معاوية بن أبي سفيان من عنقه، فنازعه فيه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية فقضى له به عثمان على معاوية وظل عنده حتى أخذ يوم الدار، أخذه رجل من جهينة وذهب به إلى صيقل ليجلوه فأنكر الصيقل أن يكون للجهني مثله فأتى به مروان بن الحكم وهو والي المدينة فدفعه إلى سعيد بن أبي العاص وبقي عند عمرو بن سعيد الأشدق وهو على مكة حتى هلك ثم عند عمرو ابن سعيد ولما قتل عمرو أخذ السيف محمد بن سعيد أخوه لأبيه، ثم صار إلى يحيى بن سعيد ثم إلى عنبسة بن سعيد بن العاص ثم إلى سعيد بن عمرو ابن سعيد ثم إلى محمد بن عبد الله بن سعيد ثم إلى إبان بن يحيى بن سعيد فحلاه بحلية ذهب فكان عند أم ولد له[3].

ويروي صاحب المستطرف نقلا عن الزمخشري أن خالد بن عبد الله القسري اشتراه بمال جزيل من آل سعيد لهشام وكان قد كتب إليه فيه فلم يزل

---

(١) الإكليل ٢/ ٢٠٨.

(٢) أنساب الأشراف ١٢٨.

(٣) فتوح البلدان عن هشام بن محمد الكلبي / ١٢٥ ـ ١٢٦ والإكليل ٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٠.

عند بني مروان ثم طلبه السفاح والمنصور والمهدي فلم يجدوه فجد الهادي في طلبه حتى ظفر به[١].

وذكر الهيثم[٢] بن عدي والهمداني[٣] والحصري[٤] أنه اشتري للهادي من آل سعيد بمال جسيم، وقال ابن الكلبي: إن أيوب بن أبي أيوب بن سعيد ابن عمرو بن سعيد باعه من المهدي أمير المؤمنين بنيف وثمانين ألفا فرد المهدي حليته عليه[٥].

وروى الأصبهاني عن أبي عبيدة أنه قال: [٦]أصعد المهدي من البصرة فلما كان بواسط بعث إلى سعيد فيه، فقال: إنه للسبيل[٧] فقال: خمسون سيفا قاطعا أغنى من سيف واحد. فأعطاهم خمسين ألف درهم وأخذه.

وذكر الطبري[٨] أنه أهدي إلى موسى الهادي، وروى المسعودي[٩] عن الهيثم بن عدي أن المهدي وهبه للهادي. وجاء في شرح ديوان[١٠] أبي تمام للتبريزي أن الصمصامة صار إلى آل سعيد في الإسلام. فلم يزل عندهم حتى أخذه من بعض ولده موسى الملقب بالهادي. وقد أعجب به الهادي ودعا الشعراء إلى وصفه فوصفه أحدهم واختلف في الواصف فهو عند

---

(١) المستطرف ١/ ٢٠٤ عن ربيع الأبرار ٣/ ٩٧.
(٢) وفيات الأعيان ٥/ ١٩٥.
(٣) الإكليل: ٢/ ٣١٠.
(٤) زهر الآداب ٢/ ٧٨٠ ـ ٧٨١.
(٥) فتوح البلدان ١٢٦.
(٦) الأغاني ١٥/ ٢١٢.
(٧) أي المعتمد والأيد والفخر.
(٨) تاريخ الطبري (م دار القاموس) ١١/ ١٧.
(٩) مروج الذهب ٣/ ٣٤٥.
(١٠) شرح ديوان أبي تمام ٣/ ٢٨٢.

الطبري[1] سلم الخاسر، وفي الحيوان[2]، والوحشيات[3] في إحدى روايتيها وفتوح[4] البلدان عن ابن الكلبي. وثمار[5] القلوب، وسمط[6] اللآلي: أبو الهول الحميري.

وعند المسعودي[7] والعسكري[8]، وابن خلكان[9] عن الهيثم بن عدي[10]، والعقد الفريد، والوحشيات[11] في روايتها الثانية والنويري[12]، والحصري[13]: ابن يامين، وعند الشريشي[14] ابن إياس، وفي حلية الفرسان[15]: أنس.

أما صاحب الإكليل[16] فأورد الأبيات وذكر أنه قيل: إنها لابن يامين ولكن الثابت عنده أنها لأبي الهول الحميري. كما أورد أبياتا أخرى لسلم الخاسر في وصفه.

---

(١) تاريخ الطبري (م دار القاموس) ١١/ ١٧.
(٢) الحيوان ٥/ ٨٧.
(٣) الوحشيات ١٨٠.
(٤) فتوح البلدان ١٢٦.
(٥) ثمار القلوب ٤٩٨.
(٦) سمط اللآلي ٦٠٤.
(٧) مروج الذهب: ٣/ ٣٤٥.
(٨) ديوان المعاني: ٢/ ٥٢.
(٩) وفيات الأعيان: ٥/ ١٥٩.
(١٠) العقد الفريد: ١/ ١٨٠.
(١١) الوحشيات/ ٢٨٠.
(١٢) نهاية الأرب للنويري ٦/ ٥١٣.
(١٣) زهر الآداب ٢/ ٧٨.
(١٤) شرح مقامات الحريري البصري: ٤/ ٢١٠.
(١٥) حلية الفرسان وشعار الشجعان ٨١٨٩
(١٦) الإكليل ٢/ ٣١٠.

ويبدو أن الرواية الراجحة في نسبة النص رواية الإكليل فقد أورد الأبيات ورجح أنها لأبي الهول وليست لابن يامين، وذكر لسلم الخاسر أبياتا أخرى غير الأبيات التي اختلف في قائلها. وأبيات أبي الهول:

حاز صَمْصامةَ الزُبيدي من بيـ ـن جميع الأنام موسى الأمين[1]
سيفَ عمرو وكان فيما سمعنا خيرَ ما أُغمدت عليه الجفون
أخضَر اللون بين حدَّيه بردٌ من ذُباح تميس فيه المنون[2]
أوقدت فوقه الصواعقُ نارًا ثم شابت فيه الذُّعافُ القُيون[3]
فإذا ما سللته بهَرا لشمـ ـس ضياءً، فلم تَكَدْ تَسْتبين
مايبالي من انتضاه لضرب أشمالٌ سطت به أم يمين
يستطير الأبصار كالقبس المُشْـ ـعَل ما تستقر فيه العيون
وكأن الفرندَ والجوهر الجا رى في صفحتيه ماءٌ معين[4]
نعم مخراق ذي الحفيظة في الهيـ جاء يُعصى به ونعم القرين

أما أبيات سلم الخاسر فهي:

يا لقومي بقلبي المفتون أو لطيف يزور أو يعتريني[5]
مات قبلي قبل الممات وقد طا ل حنيني إلى قليل الحنين
إن صمصامة الذي شهر النـ ـاس وأفنى القرون بعد القرون

---

(١) وفيات الأعيان ٥/ ١٥٩ ـ ١٦٠ (جميعها) وزهر الآداب ٢/ ٧٨ جميعها وفتوح البلدان ١٢٦ ب ١/ ٢/ ٣/ ٥/ ٦/ ٩ ومروج الذهب ٣/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦ ب ١/ ٢/ ٤/ ٥/ ٦/ ٨ وديوان المعاني ٢/ ٥٢ عدا الثالث والوحشيات ٢٨٠ عدا الثامن وحلية الفرسان وشعار الشجعان ١٨٩ عدا السابع والعقد الفريد ١/ ١٨٠ ـ ١٨١ عدا السابع والإكليل ٢/ ٣١٠ ـ ٣١١ عدا السابع.

(٢) الذباح: بالضم نبت قاتل والمنون: الموت.

(٣) الذُعَافُ: السُمّ، والقيون جمع قين وهو الحداد.

(٤) الفرند: بكسر الفاء والراء جوهر السيف.

(٥) الإكليل: ٢/ ٣١٢ ـ ٣١٣.

كـان سيفًـا من الصـواعق مَبْـدَاهُ على مضربيـــــه أم المنـــــون
لم يصب ربـــه من النـــاس حتى صـــار في حيـز الـــرشيـــد الأمين
فـاحتـواه دون البريـــة مـوسى إن مـــوسى قـــدام دنيـــا ودين
ويسـوق الـرجـــال ليس يبـالي وقـت حين ضربـت أو غير حينـي
فهـو والموت سـامعـــان إذا مـا قـال مـوسى عنـد الضريبـة بيني
فإذا مـا ارتـديت صمصامـة السـ ـــيف على ابن الشليل فـوق المتـون
لم تبل أن تقـــول عـــودا وبـــدءا للمنـايـا من حيـث شئت فكـوني
فـــرس من نتـــاج بـرق ورعـــد وحســـام في الموت جـم الفنـــون

وبعد انتهاء الشـاعر من الأبيات قال لـه الهادي: أصبت والله ما في نفسي واستخفه الطرب، فأعطـاه السيف ومكتل بدره[1]. ثم اشتراه منـه بخمسين ألفا[2] وفي الإكليل أنـه اشتراه منه بضعف ما اشتراه مـن آل سعيد وصيره في الخزانة[3].

ويرد ذكـر السيف بعد ذلك في عهد الرشيـد إذ يروى[4]: (أن ملك الهند بعث إلى هارون الـرشيد بسيوف قَلْعية، وكـلاب سيورية، وثيـاب من ثياب الهند. فلما أتته الرسل بالهدية أمر الأتراك فصفوا صفين، ولبسوا الحديد حتى لا يرى منهم إلا الحدق[5]، وأذن للرسل فدخلوا عليـه، فقال لهم: ما جئتم بـه، قالـوا: هذه أشرف كسـوة بلدنـا، فأمر هـارون القطاع بأن يقطع منهـا جلالا وبـراقع كثيرة لخيله، فَصَلَّبَ الرّسل على وجوههم، وتـذمموا من ذلك

(١) وفيات الأعيان ٥/ ١٦٠.
وفي مختار الصحاح. المكتل «شبه الزنبيل يسع خمسة عشر صاعا»
(٢) مروج الذهب ٣/ ٣٤٦.
(٣) الإكليل ٢/ ٣١٢.
(٤) العقد الفريد: ٢/ ١٠٣ ـ ١٠٤ والشريشي ٤/ ٢٠٩ ـ ٢١٠.
(٥) حدقة العين: سوادها والجمع حدق وحداق وأحداق.

ونكسوا رؤوسهم، ثم قال لهم الحاجب: ما عندكم غير هـذا؟ قالوا له: هذه سيـوف قلعيـة لا نظير لها. فـدعا هـارون بـالصمصـامـة سيف عمـرو بن معديكرب، فقطعت به السيوف بين يـديه سيفا سيفا، كما يقط الفجل، من غير أن تنثني له شفرة، ثم عرض عليهم حد السيف فإذا لا فل فيه، فصلب القوم على وجـوههم، ثم قيل لهم: ما عندكم غير هـذا؟ قالوا: هـذه كلاب سيوريـة لا يلقاها سبع إلا عقـرته، فهي كما ذكـرتم، ثم أمر بالأسـد فأخرج إليهم، فلما نظروا إليـه هالهم، وقـالوا ليس عندنـا مثل هذا السبع في بلـدنا؟ قال لهم هارون: هـذه سباع بلادنا، قـالوا: فنرسلها عليـه، وكانت الأكلب ثلاثة، فأرسلت عليـه فمزقته. فأعجب بها هارون، وقـال لهم: تمنوا في هذه الكلاب ما شئتم من طرائف بلدنا؟ قالوا: ما نتمنى إلا السيف الذي قطعت بـه سيـوفنـا، قـال لهم: مـا كنـا لنبخل عليكم، ولكنـه لا يجوز في ديننـا أن نهاديكم بـالسـلاح، ولكن تمنـوا غير ذلك مـا شئتم؟ قـالـوا: مـا نتمنى إلا السيف؟ قال: لا سبيل إليه، ثم أمر لهم بتحف كثيرة وأحسن جائزتهم».

كما يرد ذكر السيف أيضا في عهد الواثق إذ يروى: أنه[1] قتل أحمد بن نصر بالصمصـامة سيف عمرو بن معد يكـرب، وأنه[2] دعـا له بصيقل وأمـره أن يسقيـه، فلما فعل ذلك ذهب مـاؤه الأول ولم يعـرف الصيقل حقيقـة سقيـه ففسد وتغير وتنقطع بعد ذلك أخبار الصمصامة.

وهناك سيف آخر لعمـرو يعرف بذي النون[3] ورد ذكره في شعـره وافتخر به يقول:

---

(١) تاريخ الطبرى (م دار القاموس) ١١/ ١٧ والكامل في التاريخ ٧/ ٢٢.

(٢) الإكليل: ٢/ ٣١٢ وفتوح البلدان: ١٢٧.

(٣) شرح الخطيب التبريزي لديوان أبي تمام ٣/ ٢٠٥.

أنـــا أبـــو ثـــور وسيفي ذو النـــون[1]

أضربهم ضرب غـــــلام مجنـــــون

يـــا آل زُبيـــــدٍ إنهم يمـــوتـــون

ويقول:

وذو النـون الصفي صفـيُّ عمـرو وكلٌّ واردُ الغمـرات نـامي[2]

ويقـول أبو تمام من قصيـدة له يمـدح بها الـواثق ويهنئه بـالخلافة ويـرثي المعتصم:

أو يُفْتَقَـــدْ ذُو النُّـــون في الهَيجـــا فقـــد

رفـع الإلـــهُ لنـــا عـن الصَّمْصَـــام[3]

---

(١) الديوان: ١٨٩.

(٢) الديوان: ١٦٣.

(٣) ديوان أبي تمام ٣/ ٢٠٥.

وفـاتـه

قيل إنه استشهد بالقادسية وقيل إنه مات عطشا بها [١]، وقال ابن دريد: إنه شهد القادسية ومات على فراشه من حية لسعته[٢] وهذه أقوال مستبعدة؛ وذلك أن سعـد بن أبي وقـاص أوفـده بعـد فتح القـادسيـة إلى عمـر ابن الخطاب[٣]. وكيف يوفد سعد رجـلا مقتولا ؟ كما حصل بينه وبين سعد ابن أبي وقاص خلاف بعد انتهاء معركة القادسية وذلك عند تقسيم الغنائم[٤] ولو قتل لما حصل هذا الخلاف وقد قال في سعد:

أيـوعـدني سعـد وفي الكف صـارم سيمنعني مـن أن أذل وأخضعـا
فـوالله لـولا الله لا شيء غيره لجللته بـالصمصام أو يتقطعـا [٥]

كما ذكـر الدينـوري وابن الأثير أنـه شهد وقعـة جلـولاء التي حدثت بعـد القادسيـة وذلك سنـة ١٦ هـ[٦]، ومـا روي من أنه شهـد معـركة نهاونـد مع النعمان بن مقرن المزني سنة ٢١هـ.

والراجح أنه تـوفي بعد أن شهد معركة نهاونـد. قيل إنه قتل بها ودفن هناك وقال المسعـودي إن قبره معروف على نحـو فرسـخ فيما بينها وبين الـدينور[٧] وذكر ابن قتيبة أن الموضع الذي دفن فيه يقال له الاسفيذهان[٨].

---

(١) أسد الغابـة ٤/ ١٣٣ في إحدى رواياتها والإصابـة ٣/ ٢٠ حكاية عن أبي عمرو وحسـن الصحابة ١٨٥ وتهذيب الأسماء ١/ ٣٤، والاستيعـاب ٣/ ١٢٠٢ حكايـة عن أبي عمرو والبـداية والنهـاية ٧/ ١١٩ في إحدى رواياتها.

(٢) الاشتقاق: ٤١١.

(٣) الشعر والشعراء: ١/ ٣٧٢.

(٤) الأغاني ١٥/ ٢٤٢.

(٥) الديوان: ١٤٤.

(٦) الأخبار الطوال ١٢٨ والبداية والنهاية ٧/ ٧٩.

(٧)، (٨)، (٩): مروج الذهب ٢/ ٣٣٣ والشعر والشعراء ١/ ٣٧٣.

وقيل[1] وهو الأرجح إنه قاتل بها حتى كان الفتح فأثبتته الجراح فحمل ومات بقرية من قرى نهاوند يقال لها روذة ودفن بها.

وقالت امرأته الجعفية[2] ترثيه وقيل دعبل[3]:

لقد غادر الركب الذين تحملوا بروذة شخصا لا ضعيفا ولا غَمْرا
فقُل لزُبيد بل لمذحِج كلها فَقَدْتُم أبا ثور سِنانكم عَمْرا
فإن تجزعوا لا يغن ذلك عنكم ولكن سلوا الرحمن يعقبكم صَبْرا

وترجيحنا لهذه الرواية وهو أنه مات سنة ٢١ هـ يبطل أيضا قول من قال: إنه أدرك خلافة عثمان[4] والقول القائل: «إنه شهد صفين، وإنه أدرك خلافة معاوية[5]، وقد اختلف في سنِّه وقت وفاته فأبو عبيدة معمر بن المثنى يذكر: أن عمَرو بن معد يكرب شهد القادسية وهو ابن مائة وست سنين، ويذكر رواية أخرى وهو أنه ابن مائة وعشر[6]. والمرزباني يذكر: أنه مات بروذة وقد جاوز المائة سنة بعشرين ويقال بخمسين[7] وقيل إنه شهد صفين وعمره ١٥٠ سنة[8].

---

(١) في إحدى روايات معجم ما استعجم ٢/ ٦٨٥ أو الإصابة ٣/ ٢٠ وأسد الغابة ٤/ ١٣٣ والاستيعاب ٣/ ١٢٠٢ أما صاحب معجم البلدان ٤/ ٤٩٩ فذكر أن أهل بندسيان يزعمون أن قبر عمرو بن معد يكرب موجود في بلادهم في حين أن المشهور أنه بروذة.

(٢) الأغاني ١٥/ ٢٢٥ وتجريد الأغاني ١٦٥٢ وشاعرات العرب: ٤١ ومعجم ما استعجم ٢/ ٦٨٥ ب/ ١ ومعجم البلدان ٣/ ٧٩ ب١ ورويت البيتين ١ـ٢ على أنها لبعضهم في البداية والنهاية ٧/ ١١٩ والاستيعاب ٣/ ١٢٠٢ وأسد الغابة ٤/ ١٣٣.

(٣) الإصابة ٥/ ٢٠.

(٤) معجم الشعراء/ ١٦ ومعجم ما استعجم ٢/ ٦٨٤ ـ ٦٨٥ عن ابن الكلبي في إحدى رواياته.

(٥) الإصابة ٣/ ٢١، حيث ذكر أن هذا مروي في كتاب المعمرين لابن أبي الدنيا.

(٦) الأغاني ١٥/ ٢١٧ والإصابة ٣/ ٢١.

(٧) معجم الشعراء ١٦.

(٨) الإصابة ٣/ ٢١.

وأغلب الظن أنه توفي وعمره مـائة وثلاث عشرة سنة أو مائة وعشرين على أكثر تقدير، وذلك لأنه شهد القادسية سنة ١٤ هـ وعمره مائة وست سنين. وفي رواية مـائة وعشر، وقد سبق وأن رجحنـا أنه مات في معـركة نهاونـد سنة ٢١هـ وبين القادسية ونهاوند سبع سنوات.

وأمـا ما روى من أنـه شهد صفين وعمـره ١٥٠ سنة فمستبعـد وذلك لأن الثابت أنـه مات بنهـاوند سنة ٢١هـ على أن هذا القول يـؤيد أن عمـره سنة نهاوند ١٢٠ سنة، وذلك أن صفين وقعت سنة ٤٠ هـ فبينها وبين نهاوند ٢٠ عاما تقريبا.